828
A933pr A

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

Cat. mat. 1948

828
A933p

الكبرياء والهوى

مقررة لطلبة السنة الرابعة الثانوية

بقلم

جين أستن

نقلها إلى العربية

محمد بدران

المراقب العام المساعد للثقافة العامة
بوزارة المعارف

67728

الناشر

دار الفكر العربي

شارع أمين باشا سامي بالمنيرة بالقاهرة

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٧

الفصل الأول

تحدثت مسز بنت إلى زوجها فى يوم من الأيام قائلة : « عزيزى مستر بنت ، هل سمعت أن بستان نذرفيلد قد عرض أخيراً للإيجار ؟ » .

وأجابها مستر بنت بأنه لم يسمع هذا الخبر .

فردت عليه بقولها : « لكنه معروض للإيجار حقا ، فقد كانت مسز لنج هنا توا وقد أفضت إلىّ بالقصة من أولها إلى آخرها »

ولم يحر مستر بنت جوابا .

وصاحت به زوجته ، وقد نفد صبرها : « ألا تريد أن تعرف من الذى أخذه ؟ »

« إنك أنت تريدين أن تخبرينى بذلك ، ولست أمانع فى أن أسمعه منك »

وكانت هذه العبارة دعوة لها كافية .

« أجل يا عزيزى ، تقول مسز لنج إن نذر فيلد قد أخذه شاب واسع الثراء من شمال إنجلترا ؛ وإنه جاء يوم الاثنين ليشاهد المكان ، فلما رآه أعجب به إعجابا وافق معه على أن يستولى عليه من فوره ، وسيجىء بعض خدمه ليسكنوا البيت قبل أن ينتهى هذا الأسبوع » .

« وما اسمه ؟ » .

« بنجلى » .

« وهل هو متزوج أو أعزب ؟ » .

« آه ، إنه أعزب يا عزيزى ما فى ذلك شك ! إنه رجل أعزب موسر ؛ يبلغ دخله أربعة آلاف جنيه أو خمسة آلاف فى السنة ، ألا ما أحسن حظ بناتنا ؟ » .

« وكيف يكون هذا ؟ وما علاقة هذا بهن ؟ »

وأجابته زوجته : « عزيزى مستر بنت ! كيف ترضى أن تكون متعبا إلى هذا الحد ؟ إن عليك أن تعرف أنى أفكر فى أن يتزوج بواحدة منهن » .

« وهل هذا هو قصده من إقامته هنا ؟ » .

« قصده ؟ هذا قول هراء ، ولست أدرى كيف تلفظ بهذا القول ! ولكن لا يبعد أن يشغف بحب واحدة منهن ، ولذلك يجب عليك أن تزوره بمجرد مجيئه » .

« لست أرى ما يدعو إلى هذا ؛ إنى آذن لك أن تذهبى لزيارته أنت والبنات ، أو أن ترسلى البنات له وحدهن ، وهذا خير من ذهابك معهن ، لأنك لا تقلين جمالا عن أية واحدة منهن ، وقد يحبك مستر بنجلى أكثر من حبه لسائر الجماعة » .

« إنك يا عزيزى تتملقنى . لقد كان لى ولا يزال نصيبى من الجمال ، ولكن إذا كان للمرأة خمس بنات كبيرات وجب عليها أن تقلع عن التفكير فى محاسنها . غير أنه يجب عليك من غير شك أن

تذهب لزيارة مستر بنجلى حين يأتى إلى هنا » .

« أؤكد لك أن هذا أكثر ما أستطيع أن أعدك به » .

« ولكن عليك أن تنظر فى أمر بناتك . إن عليك فى واقع الأمر أن تذهب ، لأننا نحن يستحيل علينا أن نزوره إذا لم تزره أنت » .

« إنك دون ريب تعنين أكثر مما يجب بصغائر الأمور . ولست أشك فى أن مستر بنجلى يسره بلا ريب أن يراكن ، وسأرسل معك بضعة أسطر أؤكد له فيها رضائى عن زواجه بمن يختار من البنات أيا كانت ، وإن كان علىّ أن أذكر كلمة طيبة عن لزى الصغيرة » .

« أحب ألا تفعل شيئاً من هذا ، فليست لزى أحسن من سائر أخواتها فى قليل أو كثير ، ولكنك أنت لسبب ما تفضلها عنهن على الدوام » .

فرد عليها بقوله : « ليس لإحداهن ما يحبب الناس فيهن ، فكلهن سخيفات جاهلات كغيرهن من البنات ، ولكن لزى تتمتع بشىء من النشاط أكثر من أخواتها » .

« كيف تعيب بناتك يا مستر بنت بهذه الطريقة ؟ إنك ليسرك أن تغضبنى ، وإنك لا ترحم أعصابى المرهقة » .

« إنك يا عزيزتى تخطئين فى فهم قصدى ، إنى أجل أعصابك كل الإجلال ، فهن صديقاتى القديمات ، وقد سمعتك تذكرينهن

طوال السنين العشرين الماضية » .

« آه ! إنك لا تعرف ما أقاسيه من ألم » .

وكان مستر بنت مزيجا غريبا من البديهة السريعة ، والفكاهة الحادة ، والتحفظ ، والتقلب المفاجئ فى عقله . وقد بلغ من هذا كله حدا لم تكف معه تجارب ثلاث وعشرين سنة لأن تمكن زوجته من فهم أخلاقه على حقيقتها . أما عقلها هى فقد كان فهمه أقل صعوبة من فهم عقل زوجها ، ذلك أنها كانت امرأة حمقاء ، إذا غضبت خالت نفسها مريضة ، وكان كل ما تعنى به فى الحياة أن تزوج بناتها ، وكل ما يسرها أن تزور وتزار وتستمع إلى الأخبار .

الفصل الثانى

وكان مستر بنت من أسبق الناس إلى زيارة مستر بنجلى . ذلك إنه كان ينتوى على الدوام أن يزوره ، وإن كان قد ظل إلى آخر لحظة يؤكد لزوجته أنه لن يقوم بهذه الزيارة . لكنه كشف عن خبر زيارته فى مساء اليوم التالى لمجيئه .

وذلك أن مستر بنت رأى ابنته الثانية تصلح من شأن قبعتها فخاطبها على حين غفلة بقوله :

« أرجو يا لزى أن تعجب هذه القبعة مستر بنجلى » .

فردت عليه أمها بحدة : « ليس لدينا وسيلة لمعرفة ما يعجب مستر بنجلى ، لأننا لا يسمح لنا بزيارته » .

فأجابتها إلزبث بقولها : « ولكنك تنسين يا أماه أننا سنلتقى به فى حفلة الرقص العامة ، وأن مسز لنج قد وعدت أن تعرفنا به »

« لست أعتقد أن مسز لنج ستفعل شيئاً من هذا القبيل ، فإن لها هى أيضا ابنتى أخت ، وهى امرأة أنانية لا وفاء لها ، ولست أحسن الظن بها » .

وقال مستر بنت : « ولست أنا أيضا ممن يحسنون بها الظن ، ويسرنى أن أعرف أنك لا تثقين بأنها ستؤدى لك خدمة ما »

ولم تشأ مسز بنت أن تجيب بشىء عن هذا ، ولكنها لم تستطع

أن تسيطر على نفسها ، فأخذت تؤنب إحدى بناتها بقولها :

« بربك يا كتى لا تسترسلى فى هذا السعال وارحمى أعصابى بعض الرحمة » .

فقال والدها : « إن كتى لا تتبصر قط فى أمر سعالها ، وهى تختار له أسوأ الأوقات » .

فردت عليه كتى بقولها : « إنى لا أسعل لأسلى نفسى بالسعال . ومتى تكون حفلة رقصك الثانية يا لزى ؟ »

« بعد أسبوعين من غد » .

وقالت أمها : « نعم هى كذلك ، ولن تعود مسز لنج إلا فى اليوم الذى قبل الحفلة مباشرة ، ولهذا لن يكون فى وسعها أن تعرفنا به ، لأنها لن تكون هى نفسها قد عرفته » .

« وإذن ففى وسعك يا عزيزتى أن يكون لك الفضل على صديقتك فتقدمى مستر بنجلى لها » .

« هذا مستحيل يا مستر بنت ، مستحيل إذا كنت أنا نفسى لا أعرفه . كيف ترضى أن تغضبنى إلى هذا الحد ؟ » .

« إذا لم ترضى أنت أن تقومى بهذا الواجب فسأقوم به أنا نفسى »

وحدقت البنات بأبصارهن فى والدهن ، وقالت مسز بنت : « قول هراء ، قول هراء ! لقد ضقت ذرعا بالمستر بنجلى » .

« يؤسفنى أن أسمع ذلك منك ؛ ولِمَ لم تقولى لى هذا من قبل ؟

وما من شك فى أننى لو كنت قد عرفت هذا كله فى صباح هذا اليوم لما زرته قط . إن هذا لشىء يؤسف له كل الأسف ؛ ولما كنت قد قمت بالزيارة فعلا ، فلا مفر لنا من معرفته الآن » .

وكانت الدهشة التى استولت على السيدات هى عين الدهشة التى يرغب هو فيها ، ولعل مسز بنت كانت أكثرهن دهشة ، على أنها بعد أن ذهب عنها انفعالها الأول أعلنت أن هذا هو ما كانت تتوقعه على الدوام .

« ألا ما أحسن ما فعلت ! لقد كنت واثقة من أنك تحب بناتك حبا لا تستطيع معه أن تهمل التعرف برجل مثله . ألا ما أشد سرورى مما فعلت ، وإنى فى زيارتك إياه فى صباح اليوم دون أن تنطق بكلمة واحدة عن هذه الزيارة حتى الآن لفكاهة طيبة أيضا » .

وقال مستر بنت وهو يغادر الحجرة متعبا من فرحة زوجته : « والآن يا كتى ، إن فى وسعك أن تسعلى بقدر ما تشائين » .

وقالت أمهن بعد أن أغلق الباب : « ما أحسن والدكن أيها البنات ؛ ولست أعرف كيف تستطعن أن تكافئنه على حنوه ، وفى وسعى أن أقول لكن إن الإنسان لا يسره كثيرا فى هذه الأيام أن يتعرف بأناس جدد فى كل يوم ، ولكننا نحن نفعل كل شىء إكراما لكن . ولست أخشى ياليديا أن أقول إن المستر بنجلى

سيراقصك فى حفلة الرقص التالية وإن كنت أنت صغرى بناتى» .

وقالت ليديا بقوة : «لست أخشى شيئاً ، فإنى أطولهن قامة وإن كنت أصغرهن سنا» .

وانقضى سائر المساء فى التكهن عن الوقت الذى سيرد فيه زيارة مستر بنت ، وفى الاتفاق على موعد دعوته للعشاء .

الفصل الثالث

ولم يكف كل ما وجهته مسز بنت بمساعدة بناتها من الأسئلة فى هذا الموضوع لأن يستخلص من زوجها وصفا كافيا للمستر بنجلى ؛ ولذلك اضطررن أخيرا أن يقبلن معلومات غير مباشرة جاءت بها إليهن جارتهن السيدة لوكاس ، وكان حديثها عنه مرضيا غاية الرضا . فقد كان شابا فى مقتبل العمر ذا جمال بارع ، وكان رقيق الطبع إلى أقصى حد ، وأكثر من هذا كله أنه اعتزم أن يحضر حفلة الرقص التالية ، وأى شىء أدعى من هذا إلى الغبطة ؟

وجاء مستر بنجلى بعد أيام قليلة ليرد الزيارة إلى المستر بنت ، وجلس معه فى مكتبته نحو عشر دقائق . وكان يرجو أن يرى الفتيات اللاتى سمع الشىء الكثير عن جمالهن ، ولكنه لم ير إلا أباهن . أما الفتيات وأمهن فقد كن أسعد منه حظا ، فقد أتيحت لهن فرصة مشاهدته من إحدى نوافذ بيتهن العليا ، ورأينه لابسا سترة زرقاء ، ممتطيا ظهر جواد أدهم .

وأرسلت إلى المستر بنجلى دعوة للعشاء بعد ذلك الوقت بقليل ، وكانت مسز بنت قد رتبت أمر العشاء ترتيبا يشهد بمهارتها فى فن التدبير حين جاء جواب يؤجل الأمر كله . ذلك أن مستر بنجلى قد اضطر إلى أن يتغيب فى المدينة (لندن) فى اليوم الثانى ، ومن

أجل ذلك لم يكن فى مقدوره أن ينال شرف تلبية الدعوة . وضايق ذلك مسز بنت كثيرا ، فقد بدأت تخشى أن يكون مستر بنت على سفر فى كل يوم من مكان إلى مكان ، وألا يستقر قط فى نذر فيلد كما هو واجبه . ولكن ليدى لوكاس هدأت مخاوفها بأن ابتدعت فكرة أن ذهابه إلى لندن لم يكن إلا لدعوة عدد كبير من الناس إلى حفلة الرقص . ثم شاع عقب ذلك على الفور أن مستر بنجلى سيجىء معه باثنتى عشرة سيدة وبسبعة من كرام الرجال . وأحزن البنات مجىء هذا العدد الكبير من السيدات ، ثم ذهب عنهن حزنهن إذ وجدن حين دخلت الجماعة إلى المرقص أنها لا تزيد على خمسة أشخاص : مستر بنجلى ، وأختيه ، وزوج كبراهن ، وشاب آخر .

وكان مستر بنجلى جميل الطلعة دمث الأخلاق ، وكانت أختاه سيدتين ظريفتين تبدو عليهما الأناقة . ولم يكن يظهر على المستر هرست زوج أخته أكثر من أنه سيد مهذب . أما مستر دارسى فسرعان ما استلفت أنظار من فى الحجرة بقامته الطويلة الظريفة ، ومعارفه الجميلة ، وما ذاع عنه بين الحاضرين جميعا قبل أن يمضى على دخوله خمس دقائق من أن إيراده السنوى يبلغ عشرة آلاف جنيه . وظل الجمع ينظر إليه نظرة إعجاب نصف وقت السهرة تقريبا ، حتى أثارت تصرفاته اشمئزازهم فقضى بذلك على حظوته لديهم .

وكان مستر بنجلى قبل ذلك قد تعرف إلى جميع ذوى الشأن فى الحجرة ، ورقص كل الرقصات ، وأسف لانتهاء الحفلة فى وقت

مبكر ، وذكر أنه شيقيم هو نفسه حفلة فى نذرفيلد . ألا ما أعظم الفرق بينه وبين صديقه ! لقد رقص مستر دارسى مرة واحدة لا غير مع مسز هرست ومرة مع الآنسة بنجلى ، وأبى أن يتعرف بأية سيدة أخرى ، وقضى بقية السهرة يتمشى فى الحجرة ، وزاد كره المسز بنت لسلوكه حين استخف بإحدى بناتها .

وذلك أن إليزبث بنت قد اضطرتها قلة الرجال لى الخروج من حلبة الرقص دورتين ، وكان مستر دارسى فى إحداهما واقفا بالقرب منها بحيث تستطيع أن تستمع إلى حديث بينه وبين مستر بنجلى . وكان هذا قد خرج من الرقص بضع دقائق ليستحث صديقه على أن يشترك فيه .

وقال له : « تعال يا دارسى . إنى لا أحب أن أراك واقفا وحدك هذه الوقفة السخيفة ، وخير لك كثيراً أن ترقص » .

« لا ! إنى لن أرقص ، فأختاك ترقصان ، وليس فى الحجرة كلها سيدة أخرى أحب أن أراقصها » .

وصاح بنجلى : « إنى لا أحب كل هذه العناية بصغار الأمور ولو كان ذلك من أجل مملكة ! وقسم لك بشرفى أنى لم ألتق فى حياتى كلها بمثل هذا العدد من الفتيات الظريفات » .

وقال مستر دارسى وهو ينظر إلى كبرى بنات مسز بنت : « إنك أنت تراقص الفتاة الجميلة الوحيدة فيهن » .

« نعم ؛ هى أجمل مخلوق رأيته فى حياتى ! ولكن إحدى

أخواتها تجلس بالقرب منك وهى جميلة جدا ، وفى وسعى أن أقول إنها ظريفة كل الظرف . فاسمح لى أن أطلب إلى من تراقصنى أن تقدمك لها » .

فقال له : « أيتهن تقصد ؟ ثم التفت وألقى نظرة عاجلة على إلزبث ، فلما التقت عيناه بعينيها أدار بصره عنها وقال فى فتور : « إنها حسنة ، ولكنها ليس لها من الجمال ما يغرينى أنا بها » .

ثم سار من مكانه وبقيت إلزبث لا تشعر بكثير من الحب نحوه . على أنها قصت القصة بحماسة عظيمة على صاحباتها لأنها كانت تسر من كل ما هو سخيف » .

ومر المساء بوجه عام وأسرة مستر بنت كلها مغتبطة مسرورة . ورأت مسز بنت أن الجماعة القادمة من نذر فيلد قد أعجبت كثيرا بچين كبرى بناتها . فقد راقصها مستر بنجلى مرتين ، واختارتها أختاه لتوجها إليها نظراتهما . ولم تكن چين أقل سرورا من أمها بهذا ، وإن كان سرور البنت كان أهدأ من سرور أمها . وأحست إلزبث بسرور چين ؛ وبذلك عادت الأسرة مغتبطة إلى لنجبورن وهى قرية من قرى هرتفورد شير كانت تسكن فيها وكانت هى أعظم سكانها شأنا .

بنت أواصر ...

قد اشتغل قبل ذلك بالتجار ... ـه

ثروة لا بأس بها ، وارتقى إلى مرتبة الفرسان . ولعله قد شعر بهذا الشرف أكثر مما كان يجب أن يشعر به ، فقد بعث فيه اشمئزازاً من عمله ، ومن إقامته فى بلدة صغيرة ذات سوق ؛ ومن أجل ذلك ترك عمله وبلدته ، وآوى هو وأسرته إلى بيت على بعد ميل من مريتن سماه : دار لوكاس . ولكنه كان مع ذلك رجلا ودودا جميل المعاشرة رغم افتخاره بمقامه العظيم .

وكانت زوجته امرأة طيبة غاية الطيبة ، لا تبلغ من المهارة حدا يجعلها جارة ذات قيمة لمسز بنت . وقد رزقت هى وزوجها عدة أبناء ، وكان أكبرهم فتاة عاقلة ذكية فى السابعة والعشرين من عمرها ، وكانت صديقة عزيزة لإلزبث .

وكان من ألزم الأشياء أن تلتقى بنات لوكاس وبنات بنت ليتحدثن عن حفلة من حفلات الرقص ، وجاءت بنات لوكاس إلى لنجبورن فى اليوم الذى أعقب الحفلة لهذا الغرض عينه .

وقالت مسز بنت بأدب متكلف إلى الآنسة لوكاس :

[illegible] بالتأكيد

[illegible] إلى شيء ما كما تعرفين »

فأجابتها شارلوت قائلة : « ولكن مستر دارسى غير جدير بأن يستمع الناس إليه جدارة صديقه ، أليس كذلك ؟ مسكينه إليزه ! أيقول عنها إنها حسنة لا أكثر ؟ »

« أرجوك ألا توحى إلى ليزى بأن تستاء من سوء معاملته ، فهو رجل بلغ من سوء الطبع حدا يجعل حبه لأى إنسان من سوء حظ الذى يحبه ، وقد أخبرتنى مسز لنج مساء أمس أنه جلس بجوارها نصف ساعة لم يفتح فيها فاه مرة واحدة » .

وقالت چين ! « وهل أنت واثقة مما تقولين يا أماه ؟ أليس ثمة غلطة صغيرة فى هذا ؟ لقد رأيت مستر دارسى يكلمها ما فى ذلك شك » .

نعم وكان ذلك لأنها سألته فى آخر الأمر عن مبلغ حبه لنذر فيلد ، ولم يرد بدا من أن يجيب عن سؤالها ، ولكنها قالت إنه غضب من أن يكلمه أحد » .

وقالت چين : « لقد أخبرتنى الآنسة بنجلى أنه لا يكثر من

الحديث إلا إذا كان بين من يعرفهم معرفة جيدة . فهو مع هؤلاء لطيف إلى أبعد حد » .

« إنى لا أصدق كلمة واحدة من هذا يا عزيزتى »

وقالت الآنسة لوكاس : « إنى لا أعبأ بعدم حديثه إلى مسز لنج ، ولكننى كنت أود لو أنه راقص إليزا » .

وقالت أمها : « لو كنت مكانك يا لزى لما راقصته فى المرة الآتية » .

وقالت الآنسة لوكاس : « إن كبرياءه لا يسوءنى بقدر ما يسوءنى الكبرياء عادة ، وذلك لأن له عذرا فى هذا الكبرياء . إن الإنسان لا يدهشه أن يزهو بنفسه شاب مثله ظريف ، ومن أسرة طيبة ، واسع الثراء ، ممتع بكل شىء » .

وأجابتها إليزبث بقولها : « ذلك حق لا ريب فيه ، وقد كان يسعنى أن أصفح عن كبريائه لو لم يذل هو كبريائى » .

الفصل الخامس

وزارت سيدات لنجبورن سيدات نذرفيلد بعد وقت قصير ، ورُدت الزيارة لهن رداً رسميا ، وظلت أخلاق الآنسة بنت الظريفة تستميل قلب مسز هرست والآنسة بنجلى ، وأبدت مسز هرست والآنسة بنجلى رغبتهما فى أن توثقا صلاتهما بابنتى مستر بنت الكبيرتين ، وإن كانتا قد وجدتا أن مسلك الأم لا يطاق ، وأن الأختين الصغيرتين لا تستحقان أن يعنى الإنسان بالتحدث إليهما . وتلقت چين هذه الرعاية بسرور لا يعادله سرور ، أما إليزبث فقد رأت الكبرياء باديا فى طريقة معاملتهما لكل إنسان حتى أختها نفسها ، ولهذا لم تحبهما ؛ غير أنه لم يكن ثمة شك فى أن أخاهما كان يعجب حقا بچين . ولاحظت إليزبث أن چين أخذت تستسلم إلى ذلك الميل الذى كانت تشعر به نحوه من بادئ الأمر ، وأنها كانت توشك أن تشغف به حبا .

وشغلت إليزبث بملاحظة التفات مستر بنجلى إلى أختها ، فلم يدر بخلدها أنها هى نفسها توشك أن تصبح موضع العناية من صديقه . وذلك أن مستر دارسى قلما كان يعترف فى بادئ الأمر بأنها فتاة لطيفة ؛ فقد نظر إليها فى حفلة الرقص ولم يعجب بها ، ولما التقيا المرة الثانية لم ينظر إليها إلا لكى ينتقدها ، ولكنه

ما كاد يقرر أنه لا يكاد يوجد فى وجهها شىء من المعارف الطيبة حتى أخذ يرى أن نظرات عينيها السوداوين الجميلة قد أضفت على هذا الوجه ذكاء غير عادى . ولم تعرف هى شيئاً عن هذا التغير ، فقد كانت لا ترى فيه إلا أنه هو الرجل الذى لم يكن ظريفا فى أى مكان ، والذى لم ير فيها من الجمال ما يكفى لأن يغريه بمراقصتها .

وبدأ يتوق إلى أن يعرف عنها أكثر مما كان يعرف .

واجتمعت فى بيت سير وليم لوكاس فى يوم من الأيام جماعة كبيرة من الناس ، وشغل عدد من السيدات وضابطان أو ثلاثة ضباط بالرقص فى أحد أطراف الحجرة ، ووقف مستر دارسى بجوارهم ، وأخذ سير وليم يحاول أن يغريه بالحديث . وحدث أن كانت إليزبث وقتئذ تتجه نحوه ، فلاح له أن يجاملها مجاملة لطيفة فناداها قائلا :

« لم لا ترقصين يا عزيزتى الآنسة إليزا ؟ اسمح لى يا مستر دارسى أن أقدم لك هذه الفتاة لتراقصك ، وهى ممن يُرغب فى مراقصتهن أشد رغبة . ولست أشك فى أنك لن ترفض أن ترقص إذا وجدت مثل هذا الجمال أمامك » . ثم أخذ بيدها وأوشك أن يسلمها إلى مستر دارسى ، ولم يكن هـذا ليرفض الإمساك بها ، وإن كان هذا العمل قد أدهشه أشد دهشه ، ولـكنها هى جذبت يدها على الفور وقالت لسير وليم بشىء من الارتباك :

« فى الحق يا سيدى ، أنى ليست لى أقل رُغبة فى الرقص ،

وأرجوك ألا تظن أنى قد اتجهت إلى هذه الناحية لأرجو من أحد أن يراقصنى » .

وطلب إليها مستر دارسى فى أدب ووقار أن تأذن له بشرف الرقص معها ، ولكن ذلك لم يجده نفعا ، فقد أصرت إلزبث على رأيها ، ولم يفلح سير وليم فى أن يثنيها عن عزمها بما بذل من الجهد لإقناعها ، وكان مما قاله لها :

« إنك تفوقين سائر الفتيات فى الرقص يا آنسة إليزا ، ولهذا فإن من القسوة أن تحرمينى من أن أنال سعادة التمتع برؤيتك . ومع أن هذا السيد يكره اللهو بوجه عام ، فإنى لا أشك فى أنه لن يرى قط ما يمنعه أن يتفضل علينا بمراقصتك نصف ساعة » .

فأجابته إلزبث وهى تبتسم : « إن مستر دارسى يفيض رقة وأدبا » ، ثم ولت وجهها عنه . ولم تكن هذه المقاومة من جانبها مما يحط من قدرها فى عين هذا السيد ، وأخذ يفكر فيها بشىء من الإعجاب .

الفصل السادس

ولم تكن قرية لنجبورن تبعد عن بلدة مريتن أكثر من ميل واحد ؛ وهى مسافة يسهل على الفتيات أن يجتزنها ، وكان ذلك يغريهن بالذهاب إليها ثلاث مرات فى الأسبوع أو أربعا ليقمن بواجب الزيارة والإجلال لإحدى الخالات ، وهى مسز فليس التى تزوجت بأحد المحامين ، وليتطلعن فوق ذلك فى حانوت للقبعات لا يبعد إلا قليلا عن الطريق العام . وكانت كترين وليديا أصغر فتيات الأسرة أكثرهن ترددا على خالتهن ، وكان فى مقدورهما فى كل زيارة أن يتسقطا بعض الأخبار ، وقد استمدتا فى هذا الوقت كثيرا منها ، وذلك لأن فرقة من الجند قدمت إلى جوار البلدة على أن تبقى فى ذلك المكان طول الشتاء ، ومن أجل هذا لم تكونا تتحدثان إلا عن الضباط .

واستمع مستر بنت إلى صخبهما فى هذا الموضوع صباح يوم من الأيام ثم قال لهما بحدة .

« إن الذى أستطيع أن أستنتجه من طريقة حديثكما أنكما بنتان من أسخف بنات هذه البلاد » .

وخجلت كترين فلم تحر جوابا ، أما ليديا فلم تنقطع عن الحديث .

وقالت مسز بنت : « إنى ليدهشنى يا عزيزى أن يكون لك مثل

هذا الاستعداد لأن تظن بناتك سخيفات ، والحق أنهن جميعا من أنبه الفتيات » .

« تلك هى المسألة الوحيدة التى لا نتفق فيها » .

وحال بين مسز بنت وبين ردها على هذا القول دخول خادم يحمل وسالة إلى الآنسة بنت مرسلة من نذر فيلد . وأبرقت عينا مسز بنت من فرط السرور ، وأخذت تصيح متحمسة بينا كانت ابنتها تقرأ الرسالة :

« خبريني يا چين ، من الذى بعث الرسالة ؟ وماذا فيها ؟ وماذا يقول ؟ هيا يا چين ، عجلى وخبرينا » .

وقالت چين : « إنها من الآنسة بنجلى ، ثم أخذت تقرؤها بصوت عال .

بستان نذرفيلد
فى ١٠ أكتوبر

« عزيزتى چين

هل تتفضلين بأن تتعشى معى ومع لويزا اليوم . سنكون وحدنا . فعجلى بالمجىء قدر استطاعتك حين تصل إليك هذه الرسالة . إن أخى وسائر الرجال سيتعشون مع الضباط .

صديقتك المخلصة على الدوام
كرولين بنجلى »

وقالت مسز بنت : « سيتعشون فى الخارج ! إن هذا لأمر يؤسف له أشد الأسف » .

« وقالت چين : « هل أستطيع أن أستقل العربة ؟ »

« لا يا عزيزتى ، نخير لك أن تمتطى جوادا ، لأن من المرجح أن تمطر السماء ، فلا تجدين بدا فى هذه الحال من البقاء هناك طول الليل »

وقالت إلزبث : « وستكون هذه خطة حسنة ، إذا كنت واثقة من أنهم لن يعرضوا عليها أن يرسلوها إلى منزلها » .

« « ولكن الرجال سيكونون قد استقلوا عربة مستر بنجلى فى ذهابهم إلى مريتن » .

« إنى أفضل كثيرا أن أستقل العربة » .

ولكن أباك يا عزيزتى لن يكون فى غنى عن الجوادين ، فهو فى حاجة إليهما فى المزرعة » .

من أجل هذا اضطرت چين أن تذهب على ظهر جواد ، وسارت أمها خلفها حتى الباب تشيعها بكثير من النبوءات الطيبة بأن يكون يومها يوما ممطراً عبوسا . وتحققت آمالها ، فلم تكد چين تسير غير بعيد حتى أمطرت السماء مدرارا ، وقلقت عليها أختاها ، ولكن أمها ابتهجت بذلك . وظل المطر يتساقط طول المساء لم ينقطع قط ، وما من شك فى أن چين لم تكن تستطيع العودة

وقالت مسز بنت : « لقد كانت فكرتى هذه فى واقع الأمر فكرة موفقة « كأنما كانت هى وحدها صاحبة الفضل كله فى نزول المطر .

ولم يكد ينتهى الإفطار فى صباح الغد حتى جاء خادم من نذرفيلد يحمل رسالة من جين إلى إلزبث تقول فيها إنها مريضة .

وقال مستر بنت بعد أن قرأ الرسالة بصوت عال : « نعم ، يا عزيزتى ، إذا أصيبت ابنتك بمرض خطر — إذا ماتت — فإن من أسباب السلوى أن نعرف أن ذلك كله كان جريا وراء مستر بنجلى ، وتنفيذاً لأوامرك » .

« لا ، لست أخشى أن تموت ، فإن الناس لا يموتون من إصابات بالبرد تافهة ؛ إنها ستلاقى عناية طيبة » .

وشعرت إلزبث بقلق حقيق ، فاعتزمت أن تذهب إليها ، ولما كانت لم تعط العربة ولم تكن تعرف كيف تركب الخيل ، فلم يكن أمامها من سبيل إلا أن تذهب إليها راجلة .

وقالت لها أمها : « كيف يبلغ من سخفك أن تمشى فى وسط هذه الأقذار كلها ! إنك لن تكونى خليقة بأن ينظر إليك أحد حين تصلين إلى هناك » .

« سأكون خليقة بأن أرى جين ، وهذا كل ما أرغب فيه » .

وقالت كترين وليديا : « سنصحبك حتى مريتن ، وقبلت إلزبث أن يرافقاها ، وسارت الفتيات الثلاث معا » .

وافترقن عند مريتن ، وواصلت إلزبث سيرها منفردة ، فأخذت

تعبر الحقول حقلا بعد حقل ، بخطا سريعة ونشاط لا يصحبه صبر ، حتى رأت نفسها أخيرا على مرأى من البيت ، وهى متعبة القدمين ، قذرة الجوربين ، محمرة الوجه من حرارة جسمها وكثرة مشيها .

وأثار قدومها دهشة عظيمة ، واعتقدت إلزبث أن مسز هرست والآنسة بنجلى تزدريانها لأنها مشت على قدميها ثلاثة أميال فى الصباح الباكر وفى مثل جو ذلك اليوم . على أنها استقبلت فى البيت استقبالا حسنا ، فيه كثير من الأدب ، وبدا فى سلوك أخيهما شىء أكثر من الأدب — بدت فيه الفكاهة العذبة والرقة ؛ أما مستر دارسى فلم ينطق إلا بالقليل ، فقد كان فى شغل عن الحديث بالإعجاب بالبريق الذى علا وجهها من طول المشى .

ولم تكن أختها قد نامت مطلقا ، وكانت محمومة . وعادها الطبيب وأشار عليها أن تعود إلى الفراش ، ووعد بأن يرسل لها بعض الدواء ، واشتدت وطأة الحمى ، وأصيبت بصداع شديد .

وبقيت إلزبث معها حتى الساعة الثالثة ، ثم رأت أنه لابد لها أن تعود إلى منزلها ، غير أن حين أظهرت امتعاضها من فراقها ، فاضطرت الآنسة بنجلى أن تدعوها للبقاء فى نذرفيلد مؤقتا ، وقبلت إلزبث هذه الدعوة شاكرة .

الفصل السابع

ودعيت إلزبث للعشاء فى منتصف الساعة السابعة ، ولم تكن چين قدشعرت بشىء من التحسن ؛ وحين سمعت الأختان هذا القول كررتا ثلاث مرات أو أربعا قولهما إن ذلك يحزنهما كثيرا ، وإن الإصابة بالبرد الشديد صدمة قوية ، وإنهما لا تحبان أن تمرضا ، ثم لم تفكرا بعد ذلك فى الأمر .

وكان ما يعوزهما من العطف الحقيق على چين ، حين لا تكون حاضرة معهما فعلا ، يُذكِّر إلزبث بما كانت تضمره لهما من بادئ الأمر من كراهية .

والحق أن أخاهما كان هو الشخص الوحيد الذى كان يبدو عليه قلق على چين حقيق غير متكلف . وكانت عنايته بإلزبث نفسها عناية يغتبط بها أعظم اغتباط ، وقد حالت هذه العناية بينها وبين الاعتقاد بأنها ضيف ثقيل غير مرغوب فيه ، كما كان يراها فى اعتقادها غيره من أهل الدار .

ولما انتهى العشاء عادت من فورها إلى چين ، ولم تكد تخرج من الحجرة حتى أخذت الآنسة بنجلى تطعن فيها . فقالت إن أخلاقها سيئة للغاية — فهى مزيج من الكبرياء وسوء التربية ، ولم تكن تحسن الحديث ، وأسلوبها فيه ردىء ، وهى عديمة الذوق ،

ليست على شيء من الجمال ، وكان هذا بعينه هو رأى مسز هرست ، وزادت عليه قولها :

« وجملة القول أنها ليس فيها ما نحمد عليه إلا أنها تحسن المشى ، ولن أنسى قط منظرها فى صباح اليوم ، لقد كان أقرب الأشياء إلى الحيوان البرى » .

« لقد كانت كذلك حقا يا لويزا ، وكان شعرها أشعث » .

« نعم ، وثوبها ! أرجو أن تكونى قد رأيت ثوبها ، لقد غطى الطين منه ست بوصات ، ليس لدى فى ذلك شك قط » .

وقال بنجلى : « لقد اعتقدت أن الآنسة إلزبث بنت كانت تبدو على أحسن حال حين دخلت الحجرة صباح اليوم ، أما ثوبها القذر فلم يستلفت نظرى مطلقاً ، ويدل قدومها على حبها لأختها حبا يُسرُّ له الإنسان غاية السرور » .

وقالت مسز بنجلى بصوت يشبه الهمس : « أخشى يامستر دارسى أن تكون مغامرتها هذه قد أثرت بعض الشيء فى إعجابك بعينيها الجميلتين » .

فأجابها بقوله : « كلا ، لم يؤثر فىّ قط ، بل إن عينيها قد أبرقتا من أثر رحلتها » .

وتلى ذلك صمت قصير بدأت بعده مسز هرست الحديث من جديد :

« إنى مشغوفة حبا بچين بنت — إنها فى الحق بنت لطيفة جدا — وإنى لأتمنى من صميم قلبى أن تتزوج زواجا طيبا ، ولكنى أخشى ألا تتاح لها تلك الفرصة نظراً لحال أبويها وانحطاط منزلة أسرتها » .

وأجابها دارسى : « ما من شك فى أن ذلك سيقلل من حظها فى الزواج برجل ذى مركز حسن » .

ولم يرد بنجلى على هذا القول جوابا ، ولكن أختيه وافقتا عليه موافقة تامة ، وظلتا بعض الوقت تضحكان من انحطاط منزلة أسرة صديقتهما .

الفصل الثامن

وقضت إلزبث معظم الليل فى حجرة أختها ، فلما أصبح الصباح طلبت أن ترسل رسالة إلى لنجبورن تدعو فيها أمها أن تأتى لزيارة چين ، لتتأكد بنفسها من حالها . وأرسلت الرسالة على الفور ، وجاءت مسز بنت تصحبها ابنتاها الصغيرتان إلى نذر فيلد عقب فراغ الأسرة من تناول طعام الإفطار .

ولو أن مسز بنت وجدت چين فى خطر حقيقى لأمض ذلك قلبها ، ولكنها حين اقتنعت بعد رؤيتها أن مرضها ليس فيه شىء من الخطورة لم تكن ترغب فى شفائها العاجل ، لأنها إذا استعادت صحتها انتقلت على الأرجح من نذرفيلد ، ومن أجل هذا لم تستمع إلى ما اقترحته ابنتها من عودتها إلى منزلها . وكذلك لم ير الطبيب ، وقد جاء لعيادتها فى الوقت الذى جاءت فيه أمها تقريباً ، أنه يحسن بها أن تعود .

وكررت مسز بنت شكرها إلى مستر بنجلى لشفقته على چين ، واعتذرت له عما سببه وجود لزى أيضاً من مضايقة له . ورد عليها مستر بنجلى رداً ينطوى على الكرم والإخلاص ، وأرغم أخته الصغرى على أن تكون هى الأخرى مؤدبة . ومع أنها فى واقع الأمر قد اضطلعت بهذا الواجب مرغمة ، فإن مسز بنت قد رضيت بهذا وغادرت البيت بعد قليل .

الفصل السادس عشر

— وانقضى اليوم كما انقضى أمسه لم يفترق عنه إلا فى القليل، وأخذت چين تستعيد صحتها ببطء . وجلست إلزبث مع الجماعة فى مساء ذلك اليوم فى حجرة الاستقبال ، وشرعت تقوم ببعض أشغال الإبرة ، وأخذ مستر دارسى وقتئذ يكتب رسالة .

ولما فرغ من كتابتها طلب إلى الآنسة بنجلى وإلى إلزبث أن تطرباه بشىء من الموسيقى ، فقامت لآنسة بنجلى بلهفة إلى البيان وطلبت إلى إلزبث فى أدب أن تتقدمها ، ورجت إلزبث فى مثل هذا الأدب أن تعفى من هذا ، وجلست الآنسة بنجلى إلى البيان .

وغنت مسز هرست مع أختها ، وبينما كانت الأختان مشغولتين بالعزف والغناء لم يكن يسع إلزبث إلا أن تلاحظ أن عينى مستر دارسى كانتا فى معظم الأحيان تحدقان فيها . وقلما كانت تدرى كيف تظن أنها هى موضع إعجاب رجل عظيم مثله ، ولكن أغرب من هذا فى اعتقادها أن يكون سبب نظراته إليها أنه يبغضها . ولم يكن يسعها إلا أن تظن أنها قد استلفتت نظره لخطأ فيها ، وهو ظن لم يؤلمها ، فلم تكن هى تحبه حباً يجعلها تعنى برأيه فيها .

وبعد قليل من ذلك الوقت ، وبينما كانت الآنسة بنجلى تضرب نغمة مرحة اسكتلندية ، اقترب مستر دارسى من إلزبث وقال لها :

— « ألا تشعرين يا آنسة بنت بميل شديد إلى أن تنتهزى هذه الفرصة لترقصى ؟ » .

وابتسمت ولكنها لم تحرجوابا ، وأعاد هو السؤال مصحوبا ببعض الدهشة من سكوتها .

فقالت له : « آه ! لقد سمعتك من قبل ، ولكنى لم أستطع أن أقرر من فورى أى شىء أجيبك به . وأنا أعرف أنك كنت تريدنى أن أقول نعم حتى تنعم بازدراء ذوق ، ولكنى يسرنى على الدوام أن أفوّت عليك قصدك ، ولهذا فقد قررت أن أقول لك إنى لا أريد أن أرقص ، ولك أن تزدرينى الآن إذا جرؤت على ذلك » .

« فى الحق أننى لاأجرؤ » .

ودهشت إلزبث من أدبه لأنها كانت تتوقع بدلا من هذا أن يستاء منها ، ولكن سلوكها كان مزيجاً من اللطف والمرح ، ومن أجل ذلك كان من الصعب أن تسىء إلى مخلوق ، ولم يكن دارسى قد أخذت بلبه امرأة كما أخذت به إلزبث . وفى الحق أنه كان يعتقد أنه لولا ضعة أسرتها لوقع فى خطر حبها .

ورأت الآنسة بنجلى مايكفى لأن يبعث الغيرة فى قلبها ، أو لعل قلبها قد حدثها بما يكفى لأن يبعث هذه الغيرة ، وزاد من قوة تطلعها بعض الشىء إلى شفاء صديقتها العزيزة حين رغبتها فى أن تتخلص من إلزبث .

وكتبت إلزبث فى صباح اليوم التالى ، بناء على اتفاق بينها وبين أختها ، رسالة إلى أمها ترجوها أن ترسل إليهما العربة فى ذلك اليوم . وردت عليهما مسز بنت تقول إن العربة لا يمكن أن تصلهما قبل يوم الثلاثاء ، بيدأن إلزبث صممت تصميما قاطعا على ألا تبقى فى هذه الدار

بعدئذ ولم تكن تتوقع كثيرا أن يطلب إليها البقاء ، ولهذا حرضت چين على أن تستعير عربة مستر بنجلى على الفور .

وسمع رب الدار بأسف شديد أنهما تنتويان مفارقة داره بهذه السرعة ، وحاول أكثر من مرة أن يقنع الآنسة بنت بأن فى انتقالها خطراً عليها ، ولكن چين كان من عادتها أن تثبت على رأيها إذا اعتقدت أنها على حق ، ورحب مستر دارسى بهذا النبأ ، فقد كانت إليزبث تستميله أكثر مما يحب ، وكان حكيما إذ صمم على أن يحذر من أن يصدر منه مايدل على إعجابه بها ؛ وثبت على هذا العزم فلم يتكلم إليها طول ذلك اليوم إلا فى القليل النادر . ومع أنهما قد قضيا نصف ساعة منفردين فى وقت من الأوقات ، فقد ظل منكبا على كتابه ولم يلق إليها مجرد نظرة . وحدث الفراق فى اليوم التالى ؛ ولم ترحب بهما أمهما ترحيباً عظيما ، ولكن أباها قد سره حقا أن يراها ، ذلك أن حديث السهرة كان قد فقد كثيراً من مرحه ومعظم معانيه فى أثناء غياب چين وإليزبث .

الفصل التاسع

وقال مستر بنت لزوجته وهما يفطران فى صباح الغد : « أرجو يا عزيزتى أن تكونى قد أمرت بإعداد عشاء طيب فى هـذا اليوم ، لأنى أتوقع أن ينضم بعض الناس إلى أسرتنا فيه » .

« ومنذا الذى تقصد يا عزيزى ؟ لست أعرف أن أحـداً سيأتى لزيارتنا . وأنا واثقة من هذا ، إلا إذا مرت بنا مصادفة شارلوت لوكاس ؟ وأظن أن عشاءنا يبلغ من الجودة درجة تليق بها » .

« إن الشخص الذى أتحدث عنه سيد ومن غير أهل هذا البلد » .

وأبرقت عينا مسز بنت : « سيد ومن غير أهل هذا البلد ! لست أشك فى أنه مستر بنجلى ! إنك يا چين لم تنطق بكلمة واحدة عن هذا النبأ ، ولـكن — رباه ! ما أسوأ حظنا ! إنا لن نجد قطعة من السمك فى هذا اليوم ! دق الجرس يا عزيزتى ليديا . إن علىّ أن أتحدث إلى الطاهى على الفور » .

وقال لها زوجها : « ليس هو مستر بنجلى ، بل هو شخص لم أره طول حياتى » .

وأثار هـذا القول دهشة الجميع ، وسره أن يتلقى أسئلة حماسية من زوجته وبناته الخمس فى وقت واحد .

وأخذ يسلى نفسه بعض الوقت بتشوقهما ، ثم أفصح عن الأمر بقوله : « لقد تلقيت رسالة من وقت قصير . وكانت هذه الرسالة من قريبى مستر كلنز ، وهو رجل إذا مت قد يخرجكن جميعا من هذا البيت متى شاء » .

وكان من سوء حظ بنات مستر بنت أن أملاكه وهى مزرعة تغل ألفى جنيه فى العام كانت أملاكا محبوسة ، يجب أن تنتقل بعد موته بحكم القانون إلى أقرب الذكور إليه من أسرته وهو قريب له بعيد » .

وصاحت به زوجته قائلة : « آه يا عزيزى ، إننى لا أطيق أن أستمع إلى هذا يذكر أمامى ، وأرجوك ألا تتحدث عن هذا الرجل البغيض » . لقد كان هـذا من الموضوعات التى تخرجها عن دائرة العقـل .

« ولـكن الطريقة التى يعبر بها عن قصده قد تهدى من حدتك بعض الشىء إذا استمعت إلى رسالته »

« بيت القس بهتز فورد
قرب وسترهام
كنت
فى ١٥ أكتوبر

« سيدى العزيز
إن الخلاف الذى كان قائما بينك وبين المرحوم والدى طيب الله

ثراه كان على الدوام يقلق بالى أشد القلق ؛ وكثيرا ما أردت بعد موته أن أسوى هذا النزاع .

« والآن قد قطعت فى هذا الموضوع برأى . ذلك أننى بعد أن أصبحت من رجال الدين قد أسعدنى الحظ بأن لحظتنى بعنايتها السيدة المصونة كترين ده بورج أرملة سير لويس ده بورج ، فتفضلت بأن حبتنى بمنصب قسيس هذه الناحية ، وهو منصب عظيم الشأن ، وسأبذل جهدى فى أن سلك فيه سلوكا ينم عن شكرى وإجلالى لهذه السيدة الجليلة .

« هذا إلى ما أشعر به — وأناقس — من أن الواجب يقتضينى أن أكون رسول السلم بين جميع الأسر القريبة منى ، ولهذا السبب أرى أن ما أعرضه عليك من أسباب الصداقة سيكون جديراً بأعظم الثناء ، وأنك ستتفضل بأن تغض النظر عن مسألة وراثتى لأملاكك .

« وإنى ليضايقنى أن أكون أنا السبب فى إيذاء بناتك الحسان ، وأرجو أن تسمح لى بأن أقدم اعتذارى عن هذا ، وأن أؤكد لك حسن استعدادى لأن أصلح الخطأ الذى أصابهن .

« فإن لم يكن لديك ما يمنعك أن تستقبلنى فى بيتك فإنى أعرض عليك أن أزورك أنت وأسرتك فى الساعة الرابعة من يوم الاثنين فى الأسبوع المقبل ، وأحب أن أحظى بكرم ضيافتك إلى يوم السبت من الأسبوع الذى يليه .

« وأرجو أن تبلغ ياسيدى العزيز تحياتى إلى زوجتك وبناتك

مقرونة بإجلالى لهن وما زلت .

صديقك الذى يرجو لك الخير .

وليم كلنز »

وقال مستر بنت وهو يطوى الرسالة : « وإذن فنحن نتوقع زيارة من هذا السيد رسول السلام فى الساعة الرابعة ، ويظهر أنه شاب مخلص مؤدب » .

« وإن فيما يقوله عن إصلاح الخطأ الذى أصاب البنات لينطوى على بعض التعقل » .

وقالت جين : « وإن كان يصعب على الإنسان أن يحزر كيف يريد أن يفعل هذا » .

وكان أكثر ما أثار دهشة إلزبث هو إجلاله العظيم للسيدة كترين . أما أمها فإن رسالة مستر كلنز قد ذهبت بكثير من حقدها عليه ، وأخذت تتهيأ لاستقباله بهدوء دهش منه زوجها وبناتها .

الفصل العاشر

وجاء مستر كانز فى موعده ، واستقبلته الأسرة كلها بأدب جم . نعم إن مستر بنت لم يتكلم إلا قليلا ، ولكن السيدات كن على استعداد للتحدث ، ولاح أن مستر كانز نفسه لم يكن فى حاجة إلى ما يشجعه على الحديث ، وأنه لم يكن يميل إلى الصمت . وكان رجلا طويل القامة ، ممتلئ الجسم ، فى الخامسة والعشرين من عمره ، يدل مظهره على الجد ، وتُشعر أخلاقه بالتحفظ . ولم يطل جلوسه حتى أخذ يهنئ مسز بنت على ما رزقت من فتيات حسان ، وأظهر إعجابه بجمالهن ، وزاد على ذلك أنه لا يشك فى أنها ستراهن فى وقت قريب وقد تزوجن زواجا طيبا . ولم يكن هذا الحديث مما يعجب بعض سامعيه ، ولكن مسز بنت أجابت من فورها :

« لست أشك يا سيدى فى أنك رجل رقيق القلب ، وإنى لأتمنى من صميم قلبى أن يتحقق ذلك ، وإلا فإنهن سيكن بائسات حقا . إن الأمور تتقرر بطريقة عجيبة » .

« إنى لا أجهل يا سيدتى ما تلاقيه بناتك الحسان من متاعب ، ولكن فى وسعى أن أؤكد للفتيات أننى جئت وأنا على استعداد لأن أعجب بهن ؛ ولن أقول أكثر من هذا الآن ، ولكنى قد أستطيع أن أزيد عليه بعد أن نزداد تعارفا — » .

وقطعت عليه حديثه دعوته إلى العشاء ، وابتسمت الفتيات كل واحدة منهن للأخرى ؛ ولم يكن وحدهن موضع إعجاب مستر كلنز ، فقد كان يلقى نظرات فاحصة على الردهة وحجرة الطعام وما فيها من أثاث ، ويثنى عليها أطيب الثناء . وكان من شأن ثنائه هذا أن يكون له أحسن الأثر فى قلب مسز بنت لولا ذلك الفرض المؤلم الذى افترضته ، وهو أنه ينظر إلى هذا كله على أنه سيصبح فى المستقبل ملكا له . وأعجب هذا الإعجاب نفسه بالعشاء حين جىء به ، ورجا أن يعرف أية واحدة من بنات عمه الحسان كان لها فضل هذا الطهى الذى لا يعادله فى حسنه طهى سواه . ولكن مسز بنت أصلحت خطأه فى هذه النقطة بأن أكدت له أن فى مقدور الأسرة أن يكون لها طاه مجيد ، وأن بناتها لم تكن لهن علاقة ما بالمطبخ . واعتذر لها عما أغضبها من قوله ، فأعلنت بنغمة رقيقة أنها لم تر فيما قاله إساءة قط ، ولكنه مع ذلك ظل يعتذر لها حوالى نصف ساعة .

ورأى مستر بنت بعد العشاء أن الوقت قد حان للتحدث بعض الحديث إلى ضيفه ، ولهذا بدأ الحديث بموضوع توقع أن سيكون الضيف هو المجلى فيه ، وذلك بأن قال إنه كان موفقا كل التوفيق فى أن تكون السيدة كترين ولية نعمته . ولم يكن فى مقدور مستر بنت أن يختار موضوعا للحديث خيراً من هذا الموضوع ، فقد أخذ مستر كلنز يثنى عليها بصوت عال ، وشرع يعبر عن شعوره وهو يبالغ فى تواضعه وخضوعة إلى أقصى حد . ولما حان وقت

الشاى كان مضيفه قد سمع منه كل ما يريد سماعه ، وسره أن يأخذ الشاب إلى حجرة الاستقبال ، ويطلب إليه أن يقرأ شيئاً إلى السيدات . وأجاب مستر كلنز هـذا الطلب من فوره ، وجىء له بكتاب ، ولـكنه أجفل حين رآه ، واعتذر عن عدم القراءة ، وأعلن أنه لم يقرأ الروايات فى حياته . ونظرت إليه كتى مندهشة ، وصرخت ليديا صرخة عالية ، ثم عُرضت عليه كتب أخرى فاختار منها مجموعة مواعظ . وولت ليديا مدبرة حين فتح الـكتاب ، وقبل أن يتم قراءة ثلاث صفحات بصوت مملّ قطعت عليه ليديا قراءته بأن أخـذت تتحدث إلى أمها . وأمرتها أختاها الـكبيرتان أن تمسك لسانها عن الـكلام ، ولـكن مستر كلنز استاء من ذلك كثيراً ، ووضع الـكتاب إلى جانبه .

الفصل الحادى عشر

ولم يكن مستر كلنز رجلا حسن الإدراك ، ولم تتح له الفرص التى تمكنه من أن يصلح من شأنه كثيراً فى هذه الناحية بالتعلم أو الاختلاط بالناس . وكانت أخلاقه خليطا من الكبرياء والذلة .

وقد أتاح له حسن حظه أن توصى به السيدة كترين ده بورج حينما خلا منصب راعى هنزفورد . وجاء له هذا المنصب بمسكن حسن ودخل طيب فقرر أن يتزوج . ولما جاء يسعى للصلح مع أسرة لنجبورن كان يفكر وقتئذ فى زوجة ، وكان يرمى إلى اختيار زوجة له من بنات الأسرة . وكانت هذه هى الخطة التى يريد بها أن يصلح ماسيصيبهن من أذى حين يرث أرض أبيهن ، وكان يظن أنها خطة تنطوى على كرم عظيم .

ولم يغير خطته هـذه بعد أن شاهدهن . فلم يلبث وجه كبرى بنات بنت الجميل أن استلفت نظره ، وظلت هى التى استقرت عليها اختياره طوال الليلة الأولى . ثم تبدل هذا فى الليلة الثانية ، فقد تلقى من مسز بنت فى حديث خاص معه دام ربع ساعة تحذيراً بشأن چين هذه التى وقع اختياره عليها : «فأما بناتها الصغريات فإنها لا تستطيع أن تأخذ على عهدتها أن تقول — لا تستطيع أن تجيب جواباً قاطعاً — أما ابنتها الكبرى فإنها لا بد أن تذكر مجرد ذكر — أنها

تشعر أن من واجبها أن تشير إلى أنها يحتمل أن تُخطب بعد وقت قصير » .

ولم يكن على مستر كلنز إلا أن يستبدل إلزبث بچين . وقد حدث هذا على الفور ، فقد كانت إلزبث هى التالية لچين فى المولد والجمال ، وكانت هى التى تخلفها بطبيعة الحال .

وعدت مسز بنت هذا العرض عرضاً ذا قيمة ، وكانت كبيرة الرجاء فى أن تتزوج اثنتان من بناتها فى وقت قريب ، وأصبح الرجل الذى لم تكن تطيق بالأمس أن تتحدث عنه من أحب الناس إليها .

الفصل الثانى عشر

وأرادت ليديا أن تذهب إلى مريتن فى صباح ذلك اليوم سيرا على قدميها ، ورضيت أخواتها جميعاً أن يذهبن معها عدا ميرى فقد فضلت أن تقضى وقتها فى القراءة . واتُّفق أن يصحبهن مستر كلنز بعد أن طلب إليه ذلك مستر بنت ، فقد كان بنت شديد الرغبة فى أن يتخلص منه ، وأن ينفرد بنفسه فى مكتبته لأن قريبه لم يكن ينقطع عن الكلام .

وظلت البنات يستمعن فى أدب إلى ملاحظاته ، حتى دخلن مريتن . فلما دخلنها لم يكن فى وسعه هو أن يستلفت أنظار الصغيرات منهن ، فقد أخذت أعينهن تنتقل فى الحال من أول الشارع إلى آخره تبحث عن الضباط .

ولكن السيدات جميعهن قد استلفت أنظارهن على الفور شاب لم يرينه من قبل ، ذو مظهر يتم على كرم المحتد ، يسير فى صحبة ضابط على الجانب المقابل لهن من الطريق . وأثرت فيهن جميعا طلعة الرجل البهية ، وكانت كتى وليديا تعرفان الضابط ، ولذلك قررتا أن تعرفا من عساه أن يكون صديقه إذا استطاعتا إلى ذلك سبيلا . فتقدمتا سائر الجماعة إلى الجانب الآخر من الطريق ، وهما تتظاهران بأنهما فى حاجة إلى شىء من حانوت مقابل لهما ؛ وكان من حسن حظها أنهما

وصلتا إلى الطوار فى اللحظة التى وصل فيها السيدان ذلك المكان نفسه . وخاطبهما مستر دنى الضابط على الفور ، واستأذنهما فى أن يقدم إليهما صديقه مستر وكهام ، وقال إنه انضم إلى الجيش من وقت قريب جداً .

وبدا الشاب جذاباً ساحراً إلى أقصى حد ؛ فقد كان جميل الوجه ، بهى الطلعة ، باشًّا ، طلق اللسان . وكانت الجماعة كلها تتحدث فى سرور وانشراح حين استلفت أنظارهم وقع حوافر الجياد ، ورؤى دارسى وبنجلى فى الشارع على ظهر جوادين . ولما أبصر الرجلان السيدات بين الجماعة أقبلا عليهن من فورهما ، وبدأا تحياتهما بالأدب المألوف . وكان بنجلى أكثرهن حديثا ، كما كانت كبرى بنات بنت موضع الأنظار ، وقال إنه كان ذاهباً فى طريقه إلى لنجبورن ليستفسر عن صحتها . وعقب مستر دارسى على هذا بانحناءة ، وكان يريد ألا يسدد نظراته إلى إليزبث حين وقعت عيناه فجأة على الرجل الغريب . واتفق أن شاهدت إليزبث وجههما وكلاهما ينظر إلى الآخر ، وأدهشها ما كان لهذا اللقاء من أثر فيهما ، فقد تغير وجهاهما فابيض أحدهما واحمر الآخر . ومس مستر وكهام بعد لحظات قليلة قبعته بيده — وكانت هذه تحية لم يكد يعنى مستر دارسى بالرد عليها . فماذا عسى أن يكون معنى هذا ؟ لم يكن من المستطاع أن تتصور هذا المعنى ، ولم يكن من المستطاع كذلك ألا تتوق إلى معرفته .

ولم تمض إلا لحظة حتى استأذن مستر بنجلى السيدات ، وسار فى طريقه مع صديقه من غير أن يظهر أنه قد لاحظ ما حدث .

وقصت إلزبث على چين وهما عائدتان إلى المنزل ما دار بين السيدتين وما شهدته بعينها ، ولكن چين لم تكن أقدر من أختها على إيضاح هذا المسلك .

الفصل الثالث عشر

وكانت الفتيات قد قبلن وهن فى مريتن دعوة من خالتهن للعشاء ولعب الوراق ، وأقلت العربه مستر كلنز وقريبانه الخمس إلى البلدة فى ساعة مناسبة . ولما دخلت الفتيات حجرة الاستقبال سرهن أن يسمعن أن مستر وكهام قد قبل دعوة خالتهن إليه ، وأنه كان وقتئذ فى المنزل .

ولما عرف هذا واتخذ الحاضرون مجالسهم ، وجد مستر كلنز فسحة من الوقت للحديث والنظر إلى ما حوله . وبدت للفتيات فترة الانتظار جد طويلة . على أنها انتهت آخر الأمر ، وانضم إليهن الرجال ، ولما دخل مستر وكهام الحجرة شعرت إلزبث أن إعجابها به وهى تفكر فيه لم يكن لغير سبب معقول .

وكان مستر وكهام هو الرجل السعيد الذى اتجهت إليه أنظار كل سيدة فى الجمع تقريبا ، وكانت إلزبث هى الفتاة السعيدة التى جلس آخر الأمر إلى جانبها ، وبدا أن مستر كلنز قد انحطت منزلته فلم يصبح ذا شأن بعد أن وُجد له فى أعين السيدات منافسون فى منزلة مستر وكهام وضباط الجيش . ولكنه كان يجد بين الفينة والفينة مستمعة رقيقة القلب ، هى مسز فلب التى كانت تقدم له ما يحتاج من القهوة .

وكانت إلزبث راغبة كل الرغبة فى أن تستمع إلى حديث مستر وكهام ، وإن لم تكن تأمل أن تستمع إلى ما كانت تتوق إلى سماعه أكثر من غيره وهو تاريخ تعرفه بمستر دارسى . غير أن تطلعها إلى معرفة هـذا التاريخ قد تحقق بطريقة لم تكن قط منتظرة . فقد بدأ مستر وكهام نفسه هذا الموضـوع بأن سأل فى تردد كم من الزمن قضى مستر دارسى فى هذه الناحية .

فأجابت إلزبث : « نحو شهر » ، ولم تشأ أن ينقطع الحديث عند هذا الحد فواصلته قائلة : « وقد علمت أنه رجل ذو أملاك واسعة فى دربى شير » .

فأجابها مستر وكهام قائلا : « نعم ، ومزرعته بمبرلى مزعة عظيمة لا تقل غلتها عن عشرة آلاف جنيه فى العام . ولم يكن فى مقدورك أن تعثرى على شخص يقدم لك من المعلومات عنها ما أقدمه أنا — لأنى أتصل بأسرته من يوم مولدى » .

وكان لابد أن تظهر الدهشة على وجه إلزبث .

« ومن حقك يا آنسة بنت أن تدهشى لهذا القول أشد دهشة ، بعد أن رأيت لقاءنا الفاتر بالأمس . فهل تعرفين مستر دارسى حق المعرفة ؟ » .

فصاحت إلزبث بحماسة : « إنى أعرفه بقدر ما أرغب فى هذه المعرفة ، فقد قضيت معه عدة أيام فى بيت واحـد وأظنه إنساناً غير ظريف » .

وسكت مستر وكهام قليلا ثم قال : «ليس فى وسعى أن أدعى أنى آسف لسماع هذا ، فقد كان مسلكه معى مسلكا مخجلا . غير أنى يسعنى أن أسامحه فى كل شىء إلا أن يخيب آمال والده ، وأن يسىء إلى ذكراه» .

ووجدت إلزبث أن الموضوع يزداد طرافة .

وواصل مستر وكهام حديثه قائلا : «لقد ربيت لأكون من رجال الدين ، وأوصى لى مستر دارسى بأحسن منصب دينى كان فى مقدوره أن يوصى به إذا ما خلا هذا المنصب من شاغله . فقد كان هو أبى حين تعميدى ، وكان يحبنى كثيراً . وقد ظن أنه ضمن لى مستقبلى ، ولكن المنصب الدينى كان من نصيب شخص غيرى» .

وقالت إلزبث : «رباه ! ولكن هذا كان خرقا للقانون بالتأكيد ؟» .

«لم تكن ألفاظ الوصية واضحة كل الوضوح . فقد شاء مستر دارسى أن يفسر ألفاظ أبيه على أنها توصية بشروط ، وأن يقول إنى لاحق لى فى المنصب الدينى لسلوء سلوكى . ولكن الحقيقة إنه يبغضنى» .

«هذا شىء فظيع ، وهو يستحق من أجله أن يشهر به علنا» .

«ليس فى وسعى أن أشهّر به هو قبل أن أنسى أباه» .

وأثنت عليه إلزبث لهذه العواطف النبيلة .

«ولقد ولدنا فى مكان واحد ونشأنا معا . وكان والدى وكيل

المرحوم المستر دارسى فى مزارعه ، وكان يقضى وقته كله فى العناية بأملاك موكله » .

« يدهشنى ألا يكون كبرياء مستر دارسى قد حمله على أن ينصفك — لقد كنت أظن أنه أوتى من الكبرياء ما يحول بينه وبين نذالته » .

وأجاب مستر وكهام قائلا : « وهذا أمر عجيب لأن كبرياءه قد حمله فى كثير من الأحيان على أن يكون رجلا سمحا يجود بماله ، ويكرم ضيفه ، ويعين زراعه ، ويفرج كرب البائسين ؛ وهو إلى ذلك أخ فخور بإخوته يشفق كل الشفقة على أخته ويعنى بالمحافظة عليها أشد العناية » .

« ترى أى صنف من البنات تكون الآنسة دارسى ؟ » .

وهز وكهام رأسه ثم قال ! « كنت أود أن أقول إنها من الصنف الذى يمكن أن يحب ، ولكنها شبيهة بأخيها فوق ما يجب . فهى ذات كبرياء عظيم إلى أقصى حد » .

« ويدهشنى ما بين مستر دارسى ومستر بنجلى من صداقة . فكيف يحب مستر بنجلى ، وهو الذى يبدو كأنه الفكاهة مجسمه ، مثل هذا الرجل ! إنه لا يعرف حقيقة مستر دارسى » .

« لعله لا يعرف حقيقته ، ولكن فى وسع مستر دارسى أن يسر الناس متى أراد ، فهو يستطيع أن يكون رفيقا طيبا ، إذا رأى أن فى ذلك فائدة . وهو إذا وجد بين أقرانه فى هذا العالم يختلف

كل الاختلاف عنه إذا كان بين من هم أقل منه ثروة » .

واستلفت نظر مستر وكهام بعد ذلك بقليل ورود إسم السيدة كترين ده بورج على لسان مستر كلنز ، فسأل إلزبث بصوت منخفض هل تعرف أسرتها تلك الأسرة .

« إنك تعرفين بطبيعة الحال أن السيدة ، كترين ده بورج والسيدة آن دارسى أختان ، وأنها لذلك خالة مستر دارسى هذا . وسترث ابنتها الآنسة ده بورج ثروة طائلة ، ويظن إنها هى وابن خالتها سيتزوجان ، فتجتمع بزواجهما المزرعتان » .

وابتسمت إلزبث لهذا النبأ حين فكرت فى الآنسة بنجلى ، فيا لضيعة آمالها إذا كان قد وعد من قبل بأن يتزوج غيرها !

الفصل الرابع عشر

وقصت إلزبث على چين فى اليوم الثانى ما دار بينها وبين مستر وكهام من حديث ، واستمعت إليها چين بدهشة واهتمام ؛ ولم تكن تدرى كيف تصدق أن مستر دارسى يمكن أن يكون غير خليق بصداقه مستر بنجلى ، بيد أنه لم يكن من طبعها أن ترتاب فى صدق شاب له ما لوكهام من مظهر جميل جذاب .

وكان مما قالته : « إن فى وسعى أن أقول إن الرجلين قد خدعا بطريقة ما لا تستطيع أن تتصورها » .

واستدعيت الفتاتان من الحديقة حيث كان هذا الحديث يدور بينهما حين قدم بعض من كانتا تتحدثان عنهم . فقد أقبل مستر بنجلى وأختاه ليدعوا بأنفسهم أهل الدار إلى حفلة الرقص التى طال انتظارها فى نذرفيلد والتى حدد موعدها فى يوم الثلاثاء المقبل . وبدت على الفتاتين مظاهر الانشراح حين شاهدتا صديقهما العزيز مرة أخرى ، وقالتا إنه قد مضى على لقائهما به دهر طويل . ولم يعر الزائرون سائر أفراد الأسرة إلا شيئاً قليلا جداً من الإلتفات ، وكانوا يتجنبون لقاء مسز بنت قدر المستاع ، ولم يتحدثوا كثيراً مع إلزبث ، ولم يتحدثوا بشىء ما إلى غيرها من الفتيات .

ووقعت فكرة الحفلة الراقصة فى نذر فيلد برداً وسلاماً على

قلوب كل أنثى فى الأسرة ، ورأت مسز بنت أن تعد هذه الحفلة تكريماً لابنتها الكبرى ، ورأت فى مجىء مستر بنجلى ليقدم الدعوة بنفسه بدل إرسال بطاقة لها بالطريقة الرسمية المألوفة اعترافا بعظيم شأنها . وتصورت چين ماستكون عليه السهرة من متعة فى حضرة صديقتيها والتفات أخيهما إليها ، وفكرت إلزبث وهى منشرحة الصدر فى أنها سترقص كثيراً مع مستر وكهام . أما ما كانت تتوقعه كترين وليديا من سعادة فلم يكن يتوقف على حادثة بمفردها أو شخص بمفرده ، لأن كل ما كانتا ترغبان فيه هو كثرة المشتركين فى الحفلة ، وحتى ميرى نفسها وهى المجدة الرزينة المحبة للدرس رضيت أن تشترك فيها .

وابتهجت إلزبث أعظم ابتهاج حتى لم تكن تستنكف أن تتحدث فى غير ضرورة إلى مستر كلنز ، فلم تر ما يمنعها أن تسأله هل فى نيته أن يقبل دعوة مستر بنجلى ؛ وقد أدهشتها منه قوله رداً على سؤالها إنه ذاهب إليه ، ثم قوله بعد ذلك : « وإنى أرجو أن أتشرف بمراقصة قريباتى الحسان جميعاً فى أثناء السهرة ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأطلب إليك أن تراقصينى يا آنسة إلزبث وبخاصة فى الدورتين الأوليين ، وهو تفضيل لك أعتقد أن چين ابنة عمى ستفهمه على الوجه الصحيح ، وتدرك أن ليس الباعث عليه استخفافى بها » .

وشعرت إلزبث بأنها قد خدعت أتم خداع . لقد كانت تريد من صميم قلبها أن تراقص مستر وكهام فى هاتين الرقصتين بعينهما .

وهاهى ذى تستبدل به غيره، وتستبدل به مستر كانز ! إن خفتها لم تأت فى غير وقتها يوماً ما كما جاءت فى هذه المرة ، ومع هذا فإن الأمر لم يعد منه بد ، ولذلك قبلت ما عرضه عليها مستر كانز ، وتظاهرت بأكثر ماتستطيعه من الرضا عن هذه الدعوة . ولم يكن ماتوحى به الدعوة من فكرة أخرى غير الرقص ليزيد من سرورها بها . فقد خطر لها الآن لأول مرة أنه قد اختارها هى من بين أخواتها ، لتكون سيدة بيت قس الإقليم ، وسرعان مازادت هذه الفكرة تأكيداً لديها حين أبصرت ما يوجهه إليها من مجاملات مطردة الزيادة . ومع أن هذه المجاملات كانت تثير فيها من الدهشة أكثر مما تثيره من السرور فإنه لم يمض إلا قليل من الوقت حتى أخبرتها أمها أنها يسرها هى كل السرور احتمال زواجها بمستر كانز . على أن إلزبث لم تشأ أن تفهم ما ترمى إليه أمها لأنها كانت موقنة بأن كل جواب تجيب به سيثير بينهما نزاعا شديداً . وقد لا يعرض مستر كانز أمر زواجه بها مطلقاً ، وليس ثمة فائدة ترجى من النزاع بسببه حتى يعرض الأمر .

ولو أنه لم تكن هناك حفلة رقص تتطلب الاستعداد لها والتحدث عنها ، لكانت ابنتا بنت الصغيرتان فى أسوأ حال وقتئذ . ذلك أنه قد تخللت الفترة بين توجيه الدعوة وبين إقامة الحفلة أيام مطيرة متتالية حالت بينهما وبين الذهاب إلى مريتن ، فلم تذهبا إليها قط ، ولم تستطيعا أن تريا لا خالتهما ولا الضباط ، ولا أن تستمعا الأخبار ، بل ما كانتا تطلبانه من زينات لأحذيتهما تضطرهما إليها الحفلة كان

عليهما أن ترسلا رسولا يأتى به إليهما . وحتى إلزبث نفسها لم يكن يسهل عليها أن تصطنع الصبر على هذا الجو الذى أجل إلى حين زيادة معرفتها بمستر وكهام . ولم يكن شىء أقل شأنا من حفلة راقصة فى يوم الثلاثاء ليقوى على جعل أيام الجمعة والسبت والأحد والاثنين التى قبل ذلك اليوم مما تستطيع كتى وليديا أن تصبرا عليها .

الفصل الخامس عشر

ولم يدر قط بخلد إلزبث أى شك فى قدوم مستر وكهام حتى دخلت حجرة الاستقبال فى نذر فيلد وبحثت عنه من غير طائل بين جماعة العسكريين (ذوى الستر الحمراء) . وكانت قد بذلت فى ملابسها عناية غير عادية ، وأعدت نفسها وهى أكثر ما تكون بهجة لتأسر قلبه . وسرعان ما ساور عقلها ذلك الظن الرهيب وهو أنه قد أغفل عن قصد من بين الضباط الذين وجهت إليهم دعوة مستر بنجلى ، وذلك إكراما لخاطر مستر دارسى . ثم أخبرهم صديقه مستر ونى أن وكهام قد اضطر إلى الذهاب إلى لندن لبعض أعماله ، وإن لم يكن قوله هذا مطابقاً للواقع . وأضاف إلى هذا قوله :

« لست أظن أنه كان يذهب فى هذه الساعة لولم يكن راغباً فى أن يتجنب لقاء أحد السادة فى هذه الدار » .

وزاد هذا النبأ استياء إلزبث من مستر دارسى ، ومع أنها قد حاولت أن تكون مرحة ، فإن الرقصتين الأوليين أعادتا إليها كآبتها . أما كلنز فقد كان رزيناً وسمجا ، يعتذر بدل أن يلتفت ، كثير الخطأ فى حركاته دون أن يعرف أنه يخطئ ؛ ولهذا كله سبب لإلزبث من الخجل والبؤس كل ما يستطيع أن يسببه المراقص غير المرغوب فيه لمن يراقصها .

وراقصت بعده ضابطا ، ثم رأت نفسها على حين غفلة تتلقى دعوة من مستر دارسى ، وقد أخذتها هذه الدعوة على غرة فقبلتها دون أن تتنبه لما هى فاعلة .

واتخذت إلزبث مكانها بين الجماعة وهى مندهشة من المقام الذى أحرزته بأن سُمح لها أن تقف أمام مستر دارسى ، وتبينت فى أعين جاراتها ما لا يقل عن دهشتها هى نفسها . ولم يتكلما إلا قليلا جدا حتى انتهى الرقص إذ سألها ألم تذهب هى وأخواتها كثيرا إلى مريتن سيرا على الأقدام ؟ فأجابته بأنهن قد فعلن ، ولم تستطع أن تكبت رغبة فى نفسها فأضافت إلى ذلك قولها : « وحين تقابلنا هناك فى ذلك اليوم ، كنا نتعرف بشخص جديد » .

وأحدثت هذه العبارة أثرها فيه على الفور ، فعلت وجهه مسحة من الكبرياء أعظم مما كان باديا عليه ، ثم نطق أخيرا فقال :

« لقد من الله على مستر ويكهام بالصفات الطيبة التى تضمن له كسب الأصدقاء . أما أنه قد أوتى مثل هذه القدرة على الاحتفاظ بصداقة من يكسبه منهم ، فذلك أمر أقل من هذا يقينا » .

وأجابته إلزبث بقولها : « لقد كان من سوء حظه أن خسر صداقتك أنت » .

وسكت دارسى فما أحار جوابا ، وبدت منه رغبة فى أن يغير موضوع الحديث ، وفى هذه اللحظة عينها ظهر سير وليم لوكاس ووقف ليحييه وقال له :

« إن الإنسان ياسيدى العزيز لا يشهد كثيراً مثل هذا الرقص الممتاز ، وإنى لأرجو أن تتكرر كثيرا هـذه المتعة الطيبة ، وخاصة حينما يحدث حادث نرغب فيه (وألقى نظرة على چين ومستر بنجلى) وما أكثر ما سيصل وقتئذ من التهانى ! .

وبدا أن إشارة سير وليم إلى صديقه كان لها أعظم الأثر فيه ، واتجهت عيناه إلى بنجلى وچين ، وكانا يرقصان معا والقتا عليهما نظرة جدية .

ولما انفض الرقص اتجهت الآنسة بنجلى نحو إلزبث ونظرت إليها نظرة احتقار ثم خاطبتها قائلة :

« لقد سمعت يا آنسة إلزا أنك مشغوفة بچورچ وكهام ، فاسمحى لى أن أنصحك نصيحة الصديقة ألا تثقى بما يقول . أما أن مستر دارسى قد أساء معاملته فهذا محض افتراء ؛ فقد كان مستر دارسى على الدوام يعطف عليه أشد العطف ، وإن كان وكهام قد عامله معاملة مخجلة . ولست أعرف تفاصيل المسألة ، ولكنى أعرف أن لا لوم مطلقا على مستر دارسى . إنى لأرثى لك يا آنسة إلزا ، ولكن الواقع أن الإنسان إذا فكر فى أسرته لا يستطيع أن يجد خيرا منه كثيرا » .

وردت عليها إلزبث وهى مغضبة : « إن ذنبه وأسرته حسب قصتك يبدوان متماثلين كثيرا » .

فأجابتها مس بنجلى وهى مدبرة : « أرجو المعذرة عن هـذا

الفضول، إنى كنت أقصد به الخير » .

ثم بحثت إلزبث عن أختها الكبرى ، وقابلتها هذه بابتسامة رضاء حلوة ، قرأت فيها أختها إحساساتها ، ونسيت إلى حين كل ما كان فى نفسها ، راجية أن تكون حين سائرة فى طريق السعادة .

وأخذت حين تتحدث عن مستر وكهام تقول : « إن مستر بنجلى لا يعرف تاريخه كله ، ولكنه لا يخالجه شك فى شرف صديقه وحسن سلوكه ، ويؤسفنى أن أقول إن مستر وكهام حسب وصفه ليس شابا جديرا بالاحترام » .

« إن مستر بنجلى نفسه لا يعرف مستر وكهام » .

« نعم ؛ وهو لم يره إلا فى صباح ذلك اليوم الذى التقيا فيه فى مريتن » .

« وإذن فإن ما يقوله عنه قد تلقاه عن مستر دارسى . إنى راضية عن هذا كل الرضا . لقد دافع مستر بنجلى عن صديقه بإخلاص ولكنى سأظل متمسكة برأيى » .

ثم بدلت موضوع الحديث موضوعا آخر يلذ لهما جميعا ، وأخذت تستمع وهى مبتهجة إلى تلك الآمال السعيدة ، وإن تكن متواضعة ، التى تعلقها حين على شعور مستر بنجلى نحوها . ثم انضم إليهما مستر بنجلى نفسه فغادرتهما إلزبث وانضمت إلى الآنسة لوكاس .

وبعد قليل من ذلك الوقت جاء مستر لوكاس وهو منفعل أشد انفعال ، فقد عرف أن مستر دارسى ابن أخت ولية نعمته السيدة كترين .

« إنك لن تعرفى نفسك بمستر دارسى ؟ » .

« بل سأتعرف به » .

ولم تأل إلزبث جهدا فى أن تقنعه بالعدول عن رأيه ، وأكدت له أن مستر دارسى سيعد هذا منه تطاولا على خالته لا تحية لها » .

فأجابها بقوله : « معذرة إذا أهملت الانتفاع بنصيحتك ، ولكنى أرى فى هذا الظرف أن تربيتى ودراستى تجعلانى أقدر من فتاة مثلك على معرفة الصواب » . ثم انحنى إليها انحناءة كبيرة ، وتركها ليتجه إلى مستر دارسى ، فلما جاءه بدت عليه الدهشة ورد عليه بأدب فاتر .

وشعرت إلزبث بالخجل من قريبها وحولت عنايتها إلى موضوع آخر أحب إليها وهو مستقبل چين ، وكان واضحا أن أفكار أمها تتجه فى هذا الاتجاه نفسه . وما كان أشد غضب إلزبث حين جلس الجماعة إلى مائدة العشاء ، ووجدت أن حديث مسز بنت إلى السيدة لوكاس كان كله يدور بصوت مرتفع عن رجائها فى أن تتزوج چين عما قريب بمستر بنجلى ، ولم تفلح إلزبث فيما حاولته من السيطرة على حديث أمها ، وذلك لأنها رأت أن هذا الحديث كان يصل إلى مسامع مستر دارسى الجالس أمامهما . ولم يكن لكل ما بذلته من جهد فى هذا السبيل أثر ما ، واحمر وجه إلزبث من الخجل .

ولما فرغوا من العشاء أخذوا يتحدثون عن الغناء ، وآلم إلزبث فوق آلامها السابقة أن رأت ميرى تستعد لأن تطرب الجماعة .

وكانت ميرى أقل أخواتها الخمس جمالا ، وكانت قد حاولت أن تعوض هذا النقص بأن تزيد من ثقافتها ، وكانت تحرص دائما على إظهار هذه الثقافة ، ولكن قواها لم تكن قط مما يؤهلها للاضطلاع بهذا العمل ، فقد كان صوتها ضعيفا ، وكانت أخلاقها غير طبيعية . وأنصتت إليها إلزبث فى قلق ، وغنت ميرى أغنيتين ، وكان فى وسع إلزبث أن ترى أختى مستر بنجلى تتبادلان بسمات الازدراء . ونظرت إلى أبيها ترجوه أن يتدخل فى الأمر لئلا تسترسل ميرى فى الغناء طول الليل ، ففهم الإشارة ومنعها من الغناء بلطف .

ولم تجد إلزبث فى بقية السهرة شيئا من التسلية ، فقد ظل مستر كلنز إلى جانبها ، ولم يشأ أن يتركها وحدها ، ولم يعرها مستر دارسى بعد ذلك أية التفاتة ، حتى فى الوقت الذى كان فيه واقفا بالقرب منها .

على أن مسز بنت قد عادت من نذرفيلد وهى راضية كل الرضا ، فقد اقتنعت كل الاقتناع بأن جين سيتم زواجها فى خلال ثلاثة أشهر أو أربعة ، ولم تكن تقل عن هذا اقتناعا بأن بنتا أخرى من بناتها ستتزوج مستر كلنز . ولما كانت تحب إلزبث أقل مما تحب سائر بناتها فقد كانت ترى أنها غير جديرة بزوج خير من مستر كلنز .

الفصل السادس عشر

وكان اليوم الثانى بداية فصل جديد فى لنجبورن ، إذ تقدم فيه مستر كلنز رسميا بطلب الزواج . ذلك أنه بعد أن اعتزم أن يتقدم به من فوره دون ضياع الوقت ، ولم تكن تعوزه الثقة بإجابة طلبه ، تقدم به بطريقة منظمة على أحسن وجه ، وصحبه بكل المراسم التى ظن أنها من متممات ذلك العمل . فلما وجد الآنسة بنت ، والزبث ، وإحدى الفتيات الصغيرات مجتمعات بعد طعام الإفطار خاطب أمهن قائلا :

« هل تسمحين لى يا سيدتى أن أتحدث إلى ابنتك الحسناء إلزبث على انفراد ؟ » .

وقبل أن تجد إلزبث فسحة من الوقت إلا ما يكفى لأن يحمر فيها وجهها من الدهشة أجابت مسز بنت على الفور :

« نعم ياعزيزى ، نعم بالتأكيد . وأنا واثقة من أن لزى لن تعارض . تعالى يا كتى ، إنى فى حاجة إليك فى الطابق العلوى » . وبعد أن جمعت شغلها وبدأت تغادر المكان مسرعة نادتها إلزبث قائلة :

« أرجو ألا تبرحى المكان ، إن مستر كلنز لابد أن يسامحنى فى هذا ، إنه لا يستطيع أن يقول لى شيئا لا يرى أحد أن لا حاجة له بسماعه ، وهأنذا أغادر المكان » .

« لا ، لا ، هذا كلام لا معنى له يالزى ؛ إنى أحب أن تبقى حيث أنت » . ولما بدا أن إلزبث توشك أن تفر واصلت الأم حديثها قائلة : « إنى أصر يالزى على أن تبقى وتستمعى إلى ما يقوله مستر كلنز .

ولم تشأ إلزبث أن تعصى هـذا الأمر ، وبعد أن فكرت فيه لحظة أدركت أن من الخير لها أن تنتهى من هذا الموضوع ، ولهذا عادت إلى الجلوس . وابتعدت عنهما مسز بنت وكتى ، وما كادتا تغادران المكان حتى بدأ مستر كلنز حديثه بقوله :

« صدقينى يا عزيزتى الآنسة إلزبث أن تواضعك لا يزيدك إلا كمالا ، ولو لم يكن لك هذا التمنع القليل لكنت أقل ظرفا فى عينى مما أنت ، ولكنى أستسمحك فى أن أؤكد لك أن والدتك المحترمة قد أذنت لى أن أحدثك بما سأحدثك به . إنى لم أكد أدخل هـذه الدار حتى اخترتك أنت لتكونى رفيقتى فى حياتى المستقبلة ؛ أما الأسباب التى تدعونى إلى الزواج فهى أولا — أنى أظن أن من الخير لكل قسيس أن يكون قدوة لغيره فى هذا ، وثانيا — أنى واثق من أن الزواج سيزيد كثيرا من سعادتى ، وثالثا — لأن السيدة كترين قد أشارت على بالزواج .

« ولما كنت أنا الوارث لهذه الضيعة بعد موت أبيك المحترم فقد قررت أن أختار لى زوجة من بناته . وأنا عارف أنك لا تملكين مالا ، ولن أعيب عليك هذا بعد زواجنا » .

وكان لزاما عليها أن تقطع عليه حديثه الآن .

فصاحت قائلة : « لقد تعجلت ياسيدى فوق ما يجب ؛ وإنك لتنسى أنى لم أجبك بشىء . فتقبل شكرى بنظير ما أثنيت به علىّ ، ولكنى لا يسعنى إلا أن أرفض اقتراحك هذا » .

فأجاب مستر كلنز بإشارة من يده : « إنى أفهم جيدا أن من عادة الفتيات أن يرفضن الرجل الذى يقصدن فى خبيئة أنفسهن أن يقبلنه حين يعرض عليهن الزواج أول مرة » .

فصاحت إلزبث : « أقسم لك بشرفى ياسيدى أنى جادة كل الجد فى رفضى » .

وواصل مستر كلنز حديثه قائلا : « وحين أتحدث إليك فى هذا الموضوع فى المرة الثانية ، أنتظر أن أتلقى منك ردا أجمل من هذا »

وحاولت إلزبث دون جدوى أن تجعله يؤمن بصدق قولها ، ذلك أنه كان يعتد بنفسه ويمركزه فوق ما يجب . وأشار إلى أنها فى حال من الفقر لا تسمح لها بأن تتلقى عروضا أخرى كثيرة . ولم تجد لديها هى جوابا عن إصراره على خداع نفسه ، وغادرت المكان من فورها وهى صامتة ، واعتزمت أن تلجأ إلى أبيها .

الفصل السابع عشر

وكانت مسز بنت تنتظر خاتمة هذا الحديث فى الردهة ، فلم تكد ترى إلزبث تفتح الباب ، وتمر بهـا مسرعة نحو السلم ، حتى دخلت حجرة الإفطار وأخذت تهنئ مستر كلنز وتهنئ نفسها . وتلقى مستر كلنز تمنياتها الطيبة ورد عليها بمثلها ، ولـكنه لما أخذ يبسط لمسز بنت تفاصيل ما جرى بينه وبين إلزبث من الحديث أدهشتها هذه المعلومات .

وقالت له : « ولـكن ثق يامستر كلنز أن لزى سترغم على أن تعود إلى صوابها . وسأتحدث إليها أنا نفسى على الفور ، إنها فتاة حمقاء ، ولا تعرف ما فيه الخير لها ، ولـكنى سأرغمها على أن تعرفه . سأذهب إلى مستر بنت وأنا واثقة من أننا سنحسم الأمر معها » .

ولم تشأ أن تترك له وقتا يرد فيـه عليها ، بل بادرت بالذهاب إلى زوجها ، وصاحت به وهى تدخل المـكتبة :

« أى مستر بنت ؛ إنا فى حاجة إليك على الفور ، إن عليك أن تأتى لتأمر لزى بأن تتزوج مستر كلنز ، لأنها أقسمت ألا تتزوجه »

ورفع مستر بنت عينيه عن الـكتاب حين دخلت عليه الحجرة ، وأحـدق فى وجهها بهدوء وعدم اكتراث ، لم يغير منهما قط ما أفضت إليه به من المعلومات .

فلما فرغت من حديثها قال لها : « إنى لم أحظ بفهم ما تقولين ، عن أى شىء تتحدثين ؟ » .

« عن مستر كانز ولزى ، لقد صرحت لزى بقولها إنها لن تتزوج مستر كانز ، وإذا لم تبادر أنت فإنه سيغير رأيه ويرفض الزواج بها »

« وماذا أفعل أنا فى هذا الأمر ؛ إنه يبدولى عملا لا رجاء فيه »

« فلتكلم لزى فى الأمر بنفسك ، ولتخبرها بأنك تصر على زواجها به » .

« مر بها أن تنزل ، وستستمع إلى رأيى » .

« ودقت مسز بنت الجرس ، ودعيت الآنسة إلزبث إلى المكتبة »

فلما بدت قال لها والدها : « أقبلى يا ابنتى ، لقد أرسلت فى طلبك لأمر هام ، لقد علمت أن مستر كانز عرض عليك أن يتزوج بك . فهل هذا صحيح ؟ » وأجابت إلزبث بأنه صحيح . « حسن جدا ، وقد رفضت عرضه هذا؟ » .

« نعم يا سيدى رفضته »

« حسن جدا ؛ والآن نصل إلى النقطة المهمة . إن أمك تصر على أن تقبليه زوجا لك ؛ أليس كذلك يا مسز بنت ؟ »

« بلى هو كذلك ، وإلا فإنى لن أراها بعد قط » .

« إن أمامك يا إلزبث اختيارا ليس فيه حظ لمختار . إنك ستصبحين من هذا اليوم غريبة عن أحد والديك ، فإن أمك لن

تراك بعد اليوم إذا لم تتزوجى بمستر كلنز ، ولن أراك أنا بعد اليوم إذا تزوجت به » .

ولم يسع إلزبث إلا أن تبتسم لهـذه الخاتمة التى اختتمت بهـا تلك البداية ، ولـكن مسز بنت خاب رجاؤها أشد خيبة ؛ على أنها مع ذلك لم تستسلم لهذا الأمر ، فأخذت تتحدث إلى إلزبث المرة بعد المرة ، تحاول أن تقنعها تارة ، وتتوعدها تارة أخرى ، وظل مستر كلنز فى هـذه الأثناء صامتا مغضبا ، فقد كان يحسن الظن بنفسه إلى درجة لا يفهم معها كيف ترفضه ابنة عمه .

وبينا كانت الأسرة على هذه الحال إذ جاءت شارلوت لوكاس لتقضى يوما معها ، وحول مستر كلنز أنظاره إليها ، ووجدت إلزبث فى هذا ما يريح بالها أعظم راحة .

الفصل الثامن عشر

وذهبت البنات إلى مربتن مشيا على الأقدام فى اليوم الثانى عقب الإفطار ليعرفن هل عاد مستر وكهام أولم يعد ؛ وانضم هو لهن وقت دخولهن المدينة ورافقهن إلى بيت خالتهن ، وفسر لإلزبث سبب غيابه عن حفلة الرقص بقوله :

« لقد وجدت حينما اقترب موعد الحفلة أن من الخير ألا أقابل مستر دارسى — وأن وجودى فى مكان واحد معه قد يكون مما لا أطيقه .

ووافقت إلزبث كل الموافقة على هذا الرأى السديد . وعاد معها وكهام وضابط آخر إلى لنجبورن ، فاستطاعت بذلك أن تعرف به أمها وأباها .

وبعد عودتهن بزمن قليل تلقت الآنسة بنت رسالة من نذرفيلد ففضتها على الفور ؛ وشاهدت إلزبث أن وجه أختها قد تغير وهى تقرؤها . على أنها مع ذلك استطاعت أن تضبط عواطفها ، ثم أخفت الرسالة واشتركت فى الحديث بمرحها المألوف ، ولم يكد الضابطان يغادران البيت حتى نظرت جين نظرة إلى إلزبث تدعوها بها إلى أن تتبعها إلى الطابق الأعلى .

فلما دخلتا حجرتهما أخرجت جين الرسالة وقالت : « إن هذه

الرسالة من كارولين بنجلى ، وقد أدهشنى ما فيها كثيرا . لقد غادروا جميعا نذر فيلد قبل أن تصل الرسالة إلى يدى ، وليس فى نيتهم أن يعودوا إليها أبداً .

ثم شرعت تقرأ الرسالة بصوت عال ، وقد عبرت فيها كاتبتها عن أسفها على فراق چين ، وألحت عليها بأن تكتب إليها كثيرا . وقالت إلزبث إن هذا قول لا ينطوى على شىء من الإخلاص . وجاء فى الرسالة أيضا أن لدى مستر بنجلى عملا فى لندن ، وأنه لن يعجل بمغادرة هذه المدينة مرة أخرى .

وقالت چين : « يتضح من هذا أنه لن يعود فى هذا الشتاء » .

« بل كل ما تدل عليه الرسالة أن الآنسة بنجلى لا تريد منه أن يحضر » .

« ولم تظنين هذا ؟ لابد أن يكون هذا من عمله فهو سيد نفسه ، ولكنك لا تعرفين كل شىء ، وسأقرأ إليك الفقرة التى تؤلمنى بنوع خاص ، فإنى لن أخفى عنك شيئا من أسرارى » . ثم أخذت الرسالة تتحدث عن جمال أخت مستر دارسى الصغرى ، وعن إعجاب بنجلى بها ، وعن رجاء الأسرة أن يتزوج بها .

« أليس هذا واضحا كل الوضوح ؟ أليس فى هذا ما يدل بجلاء على أن كارولين لا تريد أن أكون زوجة لأخيها ، وأنها تعتقد أن أخاها لا يعنى بى ؟ وهى تقصد — بعبارة رقيقة جدا — أن تحذرنى . وهل يمكن أن يكون لاحد غير هذا الرأى فى الموضوع ؟ » .

« نعم يمكن أن يكون ؛ لأن رأيي أنا يختلف عن هـذا كل الاختلاف . لقد رأت الآنسة بنجلى أن أخاها يحبك ، وهى تريد أن يتزوج بالآنسة دارسى ، وستتبعه هى إلى المدينة راجية أن تستبقيه فيها ، وتحاول أن تقنعك بأنه لا يعنى بك » .

وهزت چين رأسها

« والحق يا چين أن عليك أن تصدقينى ، فما من أحد رآ كما معا يستطيع أن يرتاب فى حبه إياك . ولـكن المشكلة هى هذه : — إنا ليست لنا الثروة ولا المـكانة التى يريدونها »

وأخذت إليزبث تواسى أختها بحديثها ، وما زالت بها حتى أقنعتها شيئاً فشيئاً بأن مستر بنجلى سيعود بعد زمن ويحقق كل رغبـة يخفق بها قلبها . وقررت الأختان ألا تطلعا أمهما إلا على أن المقيمين فى نذر فيلد قد غادروا المـكان ليقضوا بعيدا عنه وقتا قصيرا .

الفصل التاسع عشر

ودعيت أسرة بنت للعشاء مع أسرة لوكاس ، وفى هذه المرة أيضا تفضلت الآنسة لوكاس بأن قضت معظم الوقت تتحدث إلى مستر كلنز ، وشكرتها إلزبث أعظم الشكر ، وأكدت شارلوت لصديقتها أنها يسرها أن تؤدى لها أية خدمة . وكان هذا مجاملة طيبة ، ولكن مجاملة شارلوت لها كان الباعث عليها شيئاً لم تفكر فيه إلزبث — لقد كانت تريد أن تجتذب مستر كلنز إليها ، ولولا أنه كان على وشك الرحيل من لنجبور لشعرت أنها قد أفلحت فى قصدها حين افترقت الأسرتان ليلا . ولكن مستر كلنز لم يضع وقته سدى ، ففر من بيت آل بنت بدهاء عظيم فى الصباح الباكر من اليوم الثانى ، وشاهدته الآنسة لوكاس من نافذة عليا وهو يتجه نحو بيت أبويها ، فسارت لتقابله مصادفة ، وتلقت منه اقتراحه بزواجها فى حديقة الدار .

وعرض الأمر على سير وليم والسيدة لوكاس ليوافقا عليه فوافقا من فورهما . فقد كانت ظروف مستر كلنز وقتئذ مما يجعل هذا الزواج زواجا طيبا لابنتهما التى لن ترث منهما إلا القليل ، وسيصبح هو فى المستقبل وارث أملاك مستر بنت . ورضيت شارلوت بهذا . نعم إن مستر كلنز لم يكن ذا عقل ولا ظرف ، ولكنها هى الأخرى كانت فى السابعة والعشرين من عمرها ، وقل أن يتاح لها رجل غيره

يعرض عليها أن تتزوج به

وصممت على أن تبلغ الخبر إلى آل بنت بنفسها ، ولهذا طلبت إلى مستر كلنز ألا يقول لهم شيئاً حين يعود إلى لنجبورن ، وكان قد عقد النية على أن يغادرها فى اليوم الثانى .

ولما أفضت شارلوت بالخبر إلى إلزبث على انفراد بلغت دهشتها حدا لم تستطع معه إلا أن تصيح :

« خُطبت إلى مستر كلنز ! ياعزيزتى شارلوت ، إن هذا مستحيل ! » .

وأجابتها شارلوت بقولها : « إنى أعرف ماتشعرين به . إنك لابد أن تدهشى ، وأن تدهشى كثيرا ، لأن مستر كلنز كان يرغب من وقت قريب فى أن يتزوج بك . ولكننى لست ممن يرغبن فى الحياة الروائية الصاخبة العجيبة ، بل كل ما أطلبه هو البيت الطيب المريح »

وردت عليها إلزبث بهدوء ، وبعد صمت مملّ عجيب عادت الفتاتان وانضمتا إلى سائر الأسرة ، ولم يطل مكث شارلوت بعد هذا ، وبقيت إلزبث تفكر فيما سمعته . ولم يكن ما فى تقدم مستر كلنز بطلبين مختلفين للزواج فى خلال ثلاثة أيام من الغرابة ليعد شيئاً جديراً بالذكر إذا قيس إلى ما فى قبول طلبه الثانى وقتئذ . ذلك أنها لم تكن تتوقع أن تضحى شارلوت بكل إحساس راق فى نظير المصالح المادية الدنيوية . وأحست بأن صديقتها قد جللت نفسها

بالعار ، ولم تعتقد أن فى مقدورها أن تكون سعيدة فى الحياة التى اختارتها لنفسها . أما زوجة المستر بنت فلم تطق سماع النبأ ، ومر أسبوع كامل لم تكن ترى فيه إلزبث إلا أنبتها على فعلتها ، ومر شهر لم تتحدث فيه إلى سير وليم أو إلى مستر لوكاس من غير أن تظهر لهما سوء الأدب . ولم تكن السيدة لوكاس يعوزها السرور حين كان فى مقدورها أن تتحدث إلى مسز بنت عن اطمئنانها إلى أن بنتا من بناتها ستتزوج زواجا طيبا ، وأخذت تتردد على لنجبورن أكثر من عادتها بعض الشىء لتخبر من فيها بأنها جد سعيدة . أما إلزبث وشارلوت فقد كان بينهما شىء من الجفاء عقد لسانهما عن الحديث فى هذا الموضوع ، وشعرت إلزبث بأنهما لا يمكن أن تقوم بينهما ثقة حقة بعدئذ ، ولذلك وجهت التفاتها إلى أختها جين ، وأظهرت لها من الحب أعظم مما كانت تظهره من قبل ، وأخذت رغبتها فى سعادتها تزداد فى كل يوم .

الفصل العشرون

ولم يكن غياب مستر بنجلى الدائم ليريح بال چين أو إلزبث ، وحتى إلزبث نفسها بدأت تخشى أن تفلح أخواته أو ملاهى لندن فى أن تبقيه بعيدا عنهما ، وإن لم تكن تخشى أن تتبدل عواطفه نحوها . وكانت چين تحب أن تخفى قلقها ، فلم تذكره قط لأحد ، ولكن قلما كانت تمر ساعة دون أن تنطق فيها أمهم بعبارة تتطلب من چين كل ما وهبت من الصبر للسكوت عليها .

وكانت مسز بنت فى حقيقة الأمر فى حال يرثى لها أشد الرثاء ، وكانت لا تفتأ تظهر دهشتها من عدم عودة مستر بنجلى ، وكانت تكره أن ترى الآنسة لوكاس ، ولما كانت هى التى ستخلفها فى ذلك البيت فقد كانت تغار منها وتحقد عليها . وكلما جاءت شارلوت لزيارة الأسرة اعتقدت هى أنها لا تفكر إلا فى الساعة التى تستحوذ فيها على البيت .

وكانت چين قد كتبت إلى الآنسة بنجلى ، وجاءها الرد منها وقتئذ فبدد كل ما كان يخالج عقلها من وساوس ، فقد جاء فى الجملة الأولى منه أنهم جميعا قد استقروا فى لندن ، وأنهم سيقضون فيها فصل الشتاء . واختتمت الرسالة بإظهار أسف أخيها لأنه لم يجد متسعا من الوقت يستأذن فيه من أصدقائه قبل سفره

وهكذا ضاع الأمل ، ضاع الأمل كله ، وتوزع قلب إلزبث بين العطف على أختها ، والغضب من الآخرين . وكانت فى خبيئة نفسها تلوم مستر بنجلى لضعفه الذى جعله ينصاع لآراء أخواته ، ووسوست لها نفسها أن مستر دارسى كانت له هو الآخر يد فى هذا ، فكان ذلك من أسباب غضبها عليه

وصبرت چين على آلامها بظرف ورقة ، وحاولت أن تقنع نفسها بأن حب مستر بنجلى إياها لم يكن إلا وهما تخيلته هى ، وأن اللوم فى ذلك واقع عليها وحدها .

الفصل الحادى والعشرون

وسر مسز بنت أن تستقبل أخاها وزوجته فى غد ذلك اليوم ، وقد جاءا من لندن ليقضيا عيد الميلاد فى لنجبورن كعادتهما فى كل عام . وكان مستر جاردنر رجلا عاقلا مهذبا أرقى من أخته كثيرا ، وكانت زوجته أصغر من مسز بنت بعدة سنين ، وكانت امرأة بشوشة ذكية أنيقة فى ملبسها محببة إلى بنات أخت زوجها .

وكان أول ما عملته مسز جاردنر بعد مجيئها أن قدمت هداياها ، وأن أخذت تصف أحدث الأزياء ، فلما فرغت من هذا أضحت أقل مما كانت نشاطا ، وأصبح عليها أن تمثل دور المستمع . وكان ماتريد مسز بنت أن تتحدث عنه من المتاعب ، وما تريد أن تبثه من الشكوى كثيراً . لقد كانت ابنتان من بناتها على وشك أن تتزوجا ، ولكنها قالت إن هذا لايهم كثيراً .

ثم أضافت إلى ذلك قولها : « إنى لا ألوم چين ، أما لزى ! آه ! يا أختى ! إنى ليصعب علىّ أن أفكر فى أنها لولا خبثها لكانت الآن زوجة مستر كلنز ! لقد عرض عليها الزواج فى هذه الحجرة نفسها ، ولكنها رفضته . وكانت نتيجة ذلك أن السيدة لوكاس ستزوج بنتا من بناتها قبلى . إن هذه الآلام التى تسببها لى أسرتى لتؤثر أسوأ الأثر فى أعصابى . لكن فى مجيئك إلينا فى هذا الوقت أعظم السلوى ،

وإنى ليسرنى أعظم السرور أن استمع إلى ما تقولينه عن الأكام الطويلة» .

ولما اختتمت مسز جاردنر بعدئذ بالزبث أخذت تحدثها عن موضوع جين : «مسكينة جين ! إنى ليؤلمنى ما أصابها ، وإن طباعها قد لا تمكنها من التغلب على هذه الحال إلى وقت ما . ولكن هل تظنين أنه يمكن إقناعها أن تعود معنا إلى المدينة ، فقد يكون فى تغيير المناظر ما يفيدها ؟

وسرت إلزبث غاية السرور من هذا الاقتراح .

وواصلت مسز جاردنر حديثها قائلة : «أرجو ألا يؤثر فيها أى تفكير فى هذا الشاب . فنحن نسكن فى حى من المدينة بعيد عن الحى الذى يسكن فيه ، ونختلط بطبقة من الناس غير الذين يختلط هو بهم ، ولهذا لا يحتمل أن تقابله إلا إذا جاء هو ليراها عن قصد» .

وقبلت الآنسة بنت دعوة زوجة خالها مغتبطة . ورحلت أسرة جاردنر عن لنجبورن بعد أن أقامت فيها أسبوعا ، وقبل أن تغادر مسز جاردنر البيت أسدت إلى إلزبث بعض النصح لأن سلوكها أثار فى نفسها بعض الظن بأنها تشعر بشىء من الحب لمستر وكهام .

«وأريد جادة أن تكونى على حذر . نعم إنى ليس لدى ما آخذه عليه ، فهو شاب ممتع إلى أقصى حد ، ولو كان له من المال ما يجب أن يكون له ، لاعتقدت أنك لا تجدين خيراً منه . أما والحالة كما هى — فإن لك عقلا ، ونحن كلنا ننتظر منك أن تنتفعى به ، فلا تخيبى رجاء أبيك فيك» .

الفصل الثانى والعشرون

كان شهرا يناير وفبراير شهرين خاليين من أسباب المتعة . فقد أحزن إلزبث أن تفارق جين ، وتزوجت شالورت ، ورحلت إلى هنزفورد ، ولم تجد البنات ما يقضين فيه الوقت غير السير إلى مريتن فى الأقذار تارة وفى البرد تارة أخرى .

وكتبت إلزبث رسائل كثيرة ، وتلقت مثلها ، وظلت تكاتب شارلوت بانتظام كما كانت تكاتبها من قبل ، وإن لم يكن فى رسائلهما من الصراحة ما كان فيها فى الأيام السابقة . وكتبت جين من لندن تقول إنها لم تر الآنسة بنجلى ولم تتلق رسالة منها . على أنها قد فسرت هذا بأن افترضت أن رسالتها الأخيرة التى بعثت بها صديقتها من لنجبورن قد فقدت لسبب ما

وأضافت إلى ذلك قولها : « إن زوجة خالى ستذهب غدا إلى ذلك الحى من أحياء المدينة ، وسأنتهز هذه الفرصة لأزور كارولين » .

وكتبت مرة أخرى بعد الزيارة تقول : « لست أظن أن كارولين كانت منشرحة الصدر ، ولكنها سرت لرؤيتى ، ولامتنى على أنى لم أخبرها بمجيئى إلى لندن ؛ وإذن فقد كنت صادقة فى ظنى أن رسالتى لم تصل إليها قط . وسألتها عن أخيها بطبيعة الحال ، فعلمت أن عمله كثير إلى حد قلما يمكن الأسرة من أن تراه . ولم تطل

زيارتى كثيرا الأن كارولين ومسز هرست كانتا تهمان بالخروج » .

وهزت إلزبث رأسها حين قرأت هذه الرسالة .

وانقضت أربعة أسابيع لم ترچين فى خلالها مستر بنجلى ، ولم تكن ليفوتها بعدئذ إهمال الآنسة بنجلى لها . ثم جاءت الآنسة بنجلى أخيراً ، ولكن قصر المدة التى أقامتها ، وما طرأ على أخلاقها من تبدل — وهو أهم فى نظر چين من قصر مدة الزيارة — لم يسمحا لچين بأن تظل على خداعها لنفسها .

فلم يكن يخفى على چين أن الآنسة بنجلى لم تكن مسرورة من مجيئها ، وقد اعتذرت اعتذاراً شكليا فاترا عن أنها لم تزرها قبل ذلك الوقت ، ولكنها لم تقل كلمة واحدة عن رغبتها فى زيارتها مرة أخرى ، وقد تبدلت أحوالها من جميع الوجوه تبدلا جعل چين تصمم على أن تقطع صلتها بها .

وكتبت إلزبث إلى مسز جاردنر تحدثها عن شؤونها ، فأنبأتها أن وكهام لم يعد يوجه التفاته إليها ، وأنه يعجب الآن بالآنسة ميرى كنج ، وهى فتاة ورثت فجأة عشرة آلاف جنيه . على أن قلب إلزبث لم يكن قد تأثر بحب وكهام إلا قليلا ، وأرضت كبرياءها باعتقادها أنها لو أوتيت من الثروة ما يسمح لها بزواجه لما اختار غيرها هى .

الفصل الثالث والعشرون

واتُّفق أن تذهب إلزبث إلى هنزفورد بدعوة من شارلوت فى شهر مارس ، ولم تكن قد فكرت تفكيرا جديا فى الذهاب إلى هناك فى أول الأمر ، ولكنها وجدت أن صديقتها كانت تهتم بهذه الزيارة . وكان غياب شارلوت عنها قد زاد شوقها إلى رؤيتها مرة أخرى ، وقلل اشمئزازها من مستر كانز . هذا إلى أن الرحلة ستمكنها من إلقاء نظرة على چين لأنها ستقضى ليلة فى لندن .

واتُّفق أن يصحبها فى الزيارة سير وليم لوكاس وابنته الثانية ماريا .

ولم يكن طول الرحلة أكثر من أربعة وعشرين ميلا ، وقد شرعوا فيها مبكرين حتى يكونوا فى لندن وقت الظهر . ولما اقتربوا بالعربة من باب مستر جاردنر ، كانت چين تطل من نافذة حجرة الاستقبال تترقب وصولهم ، ولما دخلوا الردهة كانت هناك لتحييهم . ونظرت إلزبث إلى وجهها نظرة فاحصة ، وسرها أن تراه على ما كان قبل من صحة ورونق . وكان على الدرج طائفة من صغار الأولاد والبنات ، لم تسمح لهم لهفتهم على رؤية ابنة عمتهم بأن ينتظروا فى حجرة الاستقبال ، ولكن حياءهم منها الناشئ من عدم رؤيتهم إياها سنة كاملة قد منعهم أن ينزلوا على الدرج أكثر مما نزلوا .

وكان كل ما فى الدار يشعر بالسرور والعطف ، وانقضى اليوم

على أحسن حال من البهجة والغبطة ، فانقضى عصره فى شراء بعض السلع ، وانقضى المساء فى أحد المسارح .

واستطاعت إلزبث بعدئذ أن تجلس إلى جوار زوجة خالها . وكان أول موضوع للحديث الذى دار بينهما هو موضوع أختها ؛ وكان ألمها أشد من دهشتها حين سمعت أن چين وإن حاولت أن تبدو باشة مرحة ، كانت فى بعض الأوقات تبدو جد حزينة ، على أنه كان من المعقول أن أوقات الحزن هذه لن تدوم طويلا .

وقبل أن يفترقوا بعد نهاية المسرحية تلقت إلزبث من خالها وزوجته نبأ لم تكن تنتظره سرت له غاية السرور ، وهو دعوتها إلى مرافقتهما فى رحلة تفكران فى القيام بها فى فصل الصيف .

وقالت مسز جاردنر : « إننا لم نقرر بعد إلى أية مكان نصل فى هذه الرحلة ، ولكنا قد نصل إلى إقليم البحيرات » .

ولم يكن ثمة فكرة أحب إلى إلزبث من هذه الفكرة ، فقبلت الدعوة من فورها شاكرة .

الفصل الرابع والعشرون

كان كل شيء فى رحلة اليوم الثانى جديداً أممتعا فى نظر إلزبث ، فلما أن خرجوا من الطريق الكبير العام إلى الطريق الصغير المؤدى إلى هنزفورد ، كانت أعينهم جميعا تتطلع إلى دار القس . فلما لاحت لهم أخيراً رأوا مستر كلنز وشارلوت فى انتظارهم عند الباب ، ووقفت العربة عند الباب الصغير بين تحيات الجماعة وابتساماتها ، وحيت مسز كلنز صديقتها وهى مبتهجة أعظم ابتهاج ، وكان سرور إلزبث من مجيئها يزداد فى كل لحظة حين وجدت أنها قد استقبلت هذا الاستقبال الودى .

ولم يكن يسعها حين أخذها مستر كلنز ليريها بيته وأثاثه ، ودلائل الإعجاب بادية عليه ، إلا أن تظن أنه يريد أن يشعرها بما خسرته حين أبت أن تتزوجه . على أنها لم تستطع أن تشبع فيه هذه الرغبة بإظهار أية إشارة تدل على ندمها على فعلتها ، بل أخذت بدلا من هذا تنظر إلى صديقتها وهى تعجب كيف تبدو عليها مظاهر الاغتباط فى صحبة زوج كزوجها . ودعاهم صاحب الدار بعد أن فرغوا من إعجابهم بالبيت لأن يتنزهوا فى الحديقة ، وكان العمل فيها من أكبر ملذاته ، وابتسمت إلزبث فى سريرتها حين سمعت شارلوت تتحدث عما تؤدى إليه هذه الرياضة من صحة فى الجسم ، وتقول إنها

تشجعها أعظم ما تستطيع من تشجيع .

وكان البيت على صغره أنيقا مريحا ، وكانوا إذا نسوا مستر كلنز يجدون فى كل جزء من أجزائه فى واقع الأمر أعظم مظاهر الراحة . وظلت إلزبث حين أبصرت ما يبدو على شارلوت من غبطة أن مستر كلنز لا بد أن يُنسى فى أكثر الأوقات .

وذكر فى وقت الطعام أن السيدة كترين لا تزال فى الريف ، وأخذ مستر كلنز يفصل القول فى وصف عنايتها به وبشارلوت ، وأظهر أنه يتوقع أن تلحظ إلزبث بعنايتها .

وأنقضت معظم السهرة فى الحديث عن الأخبار التى جاءتهم من بلدهم ، ولما فرغوا منها آوت إلزبث وهى هادئة إلى حجرتها ، ولم يسعها إلا أن تفكر فى حظ شارلوت من القناعة ، وأن تتفهم حذقها فى القيادة وسيطرتها على نفسها حتى أمكنها أن تتحمل زوجها ، وكان لا بد لها أن تقر بأنها قد أحسنت فى ذلك أيما إحسان .

وبينا كانت إلزبث فى حجرتها حوالى الظهر تستعد لنزهة سيرا على الأقدام ، إذ سمعت جلبة مفاجئة فى الطابق الأسفل دلت على أن البيت كله فى هرج ومرج ، فأصغت إلى ذلك قليلا ، ثم سمعت وقع أقدام إنسان يصعد الدرج فى سرعة عنيفة وينادى بصوت عال ، ففتحت الباب وأبصرت مارية وقد جاءت تدعوها إلى النزول فى تلك اللحظة .

وحاولت إلزبث عبثا أن تعرف جلية الخبر ، لأن مارية لم تشأ أن

تخبرها بشيء غير دعوتها إلى النزول ، فأسرعت إلى حجرة الطعام لتعرف حقيقة هذا الأمر العجيب ، فأبصرت سيدتين راكبتين فى عربة واقفة عند باب الحديقة .

وصاحت إلزبث قائلة : «وهل هذا كل شيء ؟ إن أقل ما كنت أتوقعه أن تكون الخنازير قد انطلقت فى الحديقة ، وهأنذا لا أرى إلا السيدة كترين وابنتها ! » .

وقالت مارية وقد ذهلت من هذا الخطأ : « لا ياعزيزتى ! ليست هى السيدة كترين ، فإن السيدة المسنة هى مسز چنكنسن عشيرتها . أما الأخرى فهى الآنسة ده بورج . انظرى إليها فهل كان أحد يظن أنها نحيلة ضئيلة الجسم إلى هذا الحد ! » .

وقالت إلزبث وقد جالت بخاطرها أفكار أخرى : « إنى أحب مظهرها ؛ إنها تبدو ضعيفة غاضبة ؛ نعم إنها توائمه كل المواءمة ، إنها تصلح لأن تكون له زوجة طيبة » .

الفصل الخامس والعشرون

وكان الغرض من زيارة السيدتين هو دعوة الجماعة كلها إلى تناول العشاء فى روزنجس حيث تسكن السيدة كترين . وكان الظفر الذى ناله مستر كلنز بهذه الدعوة ظفراً كاملا ليس ينقصه شىء ؛ وكادت الدعوة أن تكون وحدها موضوع الحديث طوال يوم الزيارة وصباح اليوم الثانى . وأخذ مستر كلنز يعنى بإرشاد السيدات إلى ما ينتظرنه هناك حتى لاتُدهشنه كل الدهشة مناظر الحجرات وكثرة الخدم وفخامة الطعام . وقد جاء إلى أبواب حجرهن وهن يلبس ثيابهن ليحثهن على الإسراع ، لأن السيدة كترين تكره كل الكره أن يتأخر موعد عشائها . وكان هذا الوصف وأمثاله يخيف مارية لوكاس كثيراً لأنها لم تتعود غشيان المجتمعات ، أما إلزبث فلم تخنها شجاعتها ، لأنها لم تسمع عن السيدة كترين شيئاً يبعث فى نفسها الإجلال لحذق تشتهر به خارق للعادة أو فضيلة لها عجيبة . أما العظمة التى منشؤها المال أو المنزلة فقد ظنت أنها تستطيع أن تنظر إليها فى غير وجل

ورأت إلزبث نفسها جديرة كل الجدارة بأن تقدَّم إلى السيدة العظيمة ؛ وكان فى وسعها أن تشاهد السيدات الثلاث اللاتى كن أمامها وهى هادئة . وكانت السيدة كترين امرأة طويلة القامة ضخمة

الجسم واضحة معارف الوجه . ولم تكن تبدو عليها مظاهر الود والألفة ، ولم تكن طريقة استقبالها لضيوفها مما يحملهم على أن ينسوا أنهم أقل منها شأناً . وكانت تنطق بكل ماتقوله بلهجة السيدة الآمرة مظهرة بذلك عظم شأنها . وبدت الآنسة ده بورج شاحبة اللون ضعيفة الجسم ، ولم تتحدث إلا لسز چنكنسن بصوت خافت . ولم يكن لهذه السيدة من شغل يشغلها إلا الإصغاء لما تقول .

وكان العشاء ظريفا إلى أقصى حد ، وكان كل مافيه محققا ما وعد به مستر كلنز ، وأخذ هو يثنى على كل شيء بصوت عال ، وكان سير وليم لاينفك يردد صدى ثنائه . وأخذت السيدة كترين تبتسم ابتسامات المن والعظمة ، وبدت أنها راضية عن إعجاب الضيوف البالغ أقصى حد

ولما عادت السيدات إلى حجرة الاستقبال لم يكن لديهن مايفعلنه إلا أن يصغين إلى حديث السيدة كترين ، وانطلقت هذه تتحدث بلا انقطاع ، وتبدى آراءها فى كل شيء بطريقة حاسمة تدل على أنها لم تتعود قط أن يناقش أحد أحكامها . وأخذت تسأل إلزبث أسئلة كثيرة عن أسرتها وعن عدد أفرادها ، وعن تعليمهن ، وهل يحتمل أن تتزوج إحداهن ، وماذا كان اسم أمها قبل أن تتزوج . وأحست إلزبث بما فى هذه الأسئلة من سوء الأدب ، ولكنها أجابت عنها فى هدوء ، ثم قالت السيدة كترين !

« هل تعرفين العزف والغناء يا آنسة بنت ؟ .

« قليلا »

« إذن فإنا يسرنا أن نسمعك وقتا ما . إن بياننا من نوع جديد ، ولعله أحسن من بيان — . وهل تعزف أخواتك وتغنين ؟ »

« إن إحداهن تعزف وتغنى » .

« ولِمَ لم يتعلمن كلهن ؟ لقد كان من واجبكن جميعا أن تتعلمنهما ؛ وهل تعرفين الرسم ؟ » .

« لا أعرف منه شيئاً » .

« ما هذا ، ألا تعرفه إحداكن ؟ » .

« ليس منا من تعرفه » .

« إن هذا الأمر جد عجيب ، ولكنى أظن أنكن لم تسنح لكن الفرص . وهل أتمت إحدى أخواتك الصغرى تعليمها وسمح لها بالاختلاط بالمجتمع يا آنسة بنت ؟ » .

« نعم كلهن » .

« كلهن ! الخمس ! كلهن مرة واحدة يختلطن ؟ إن هذا لشيء جد عجيب ! ولست أنت إلا ثانية أخواتك ، كم عمرك من فضلك ؟ » .

فأجابتها إلزبث وعلى ثغرها ابتسامة : « إذا كان ثلاثة من أخواتى الأصغر منى قد كبرن فإن سيادتك قلما تنتظرين منى أن أبوح لك بشيء »

وبدت الدهشة العظيمة على السيدة كترين لأنها لم تتلق عن سؤالها جوابا صريحا ، وظنت إلزبث أنها هى أول مخلوق جرؤ على أن يعبث معها هذا العبث .

« إنى واثقة من أنك لا يمكن أن تكونى أكثر من عشرين — ومن أجل هذا فلا حاجة لك بأن تخفى سنك » .

« ليست سنى إحدى وعشرين » .

ولما انضم إليهن الرجال أعدت مناضد لعب الورق فجلست السيدة كترين إلى واحدة منها تلعب مع سير وليم ومستر كلنز وزوجته . وجلست إلى الثانية الآنسة ده بورج ومعها مسز جنكنسن والفتاتان . وظلت السيدة كترين تتحدث وتشير إلى الأخطاء التى يخطئها غيرها من اللاعبات واللاعبين . وشغل مستر كلنز بالموافقة على كل ما تقوله ، وشكرها على كل دور يكسبه ، واعتذاره إذا ظن أنه قد كسب أكثر مما يجب أن يكسبه من الأدوار . أما من كانوا جالسين إلى المنضدة الأخرى فقلما كانوا ينطقون بكلمة ، ووجدت إلزبث أن اللعب سخيف ممل .

الفصل السادس والعشرون

وسرعان ما انقضى الأسبوعان الأولان من إقامة إلزبث فى هدوء ، تتخللهما نزهات على الأقدام وزيارات متفرقة إلى روزنجس . واقترب عيد الفصح ، وكان مقرراً أن ينضم فيه عدد من الزوار إلى الأسرة المقيمة فى روزنجس . فقد كانت زيارة مستر دارسى منتظرة فى ذلك الوقت ؛ ولما جاء كان معه قريب له يدعى الكولونل فتزوليم

وجاءا إلى بيت القس بعد قدومهما بيوم واحد . كان الكولونل فتزوليم فى الثلاثين من عمره ، وكان رجلا وسيما ، ولكنه كان فى هيئته وأخلاقه مثالا للرجل الكامل المهذب . وظهر مستر دارسى بمظهره المعتاد لم يتحول عنه قط ، فكان مؤدبا ولكنه لم يتكلم إلا قليلا . ولم تزد إلزبث على أن حيته بانحناءة ولكنها لم تخاطبه بكلمة .

وبدأ الكولونل فتزوليم حديثه فى الحال وبالطلاقة والسهولة اللائقتين بالرجل الحسن التربية . وسأل مستر دارسى إلزبث بعد سكوت طويل عن صحة أسرتها ، فأجابته بالطريقة المألوفة ، وأضافت إلى جوابها بعد صمت قصير :

« إن أختى الكبرى تقيم فى لندن من ثلاثة شهور ، فهل اتفق لك أن رأيتها هناك ؟ » .

وخيل إليها أنه قد بدا عليه شيء من الارتباك ، وهو يجيبها عن سؤالها بأنه لم يسعده الحظ بلقاء الآنسة بنت .

ومضت بضعة أيام قبل أن تصلهم الدعوة الثانية من روزنجس . وسبب ذلك أن الحاجة لم تكن تدعو إلى وجودهم فى ذلك المكان إذا كان فيه زائرون . فلما تلقوا الدعوة وانضموا إلى من كان فى حجرة استقبال السيدة كترين استقبلتهم هذه السيدة بأدب ، ولكنه لم يكن خافيا أنها لم ترحب بهم كما كان يرحب بهم وقت أن لم يكن غيرهم من الزوار فى الدار .

وبدا على الكولونل فتزوليم أنه مسرور حقا لرؤيتهم ، ذلك أن أى شيء كان يخفف من سآمة روزنجس ، ورأى صديقة مسز كلنز الجميلة فراقه جمالها ، وجلس إلى جانبها ، وأخذ يتحدث إليها حديثاً ممتعا ، لم تمتع إلزبث فى هذه الحجرة من قبل بحديث يحتوى نصف ما يحتويه من المتعة . وتحدث الاثنان بمرح استلفت نظر السيدة كترين نفسها . أما مستر دارسى فسرعان ما اتجه بعينيه نحوهما ونظر إليهما مراراً نظرة الدهشة . وأخيراً صاحت السيدة كترين قائلة :

« أى شيء تقوله يافتزوليم ؟ ما الذى تتحدث عنه ؟ ماذا تقول للآنسة بنت ؟ » .

فأجابها بقوله : « نحن نتحدث عن الموسيقى ياسيدتى » .

« عن الموسيقى ! إذاً فتحدثا بصوت عال . يجب أن يكون لى نصيب فى الحديث إن كنتما تتحدثان عن الموسيقى . إنى أظن أنه قلما يوجد

فى إنجلترا أناس أوتوا من الذوق الموسيقى الطبيعى ما أوتيت أنا ؛ ولو أننى علمت الموسيقى لكنت الآن من أبرع العازفات » .

ثم سألته عن قدرة چورچينا أخت دارسى على العزف ، فأخذ يثنى على حذقها ثناء عاطرا من كل قلبه .

وواصلت السيدة المبجلة حديثها قائلة : « إن عليها ألا تنقطع عن تدريب نفسها . لقد أخبرت الآنسة بنت عدة مرار أنها لن تحسن العزف حقيقة إلا إذا زادت من تدريبها ، ومع أن مسز كلنز لا تملك بيانا فإن فى وسعها أن تأتى فى كل يوم إلى روزنجس وتعزف على البيان فى حجرة مسز چنكنسن ، وأنت تعلم أنها لن تضايق أحداً فى هذا الجزء من المنزل » .

وخجل مستر دارسى من سوء تربية خالته ولم يحر قط جوابا .

ولما فرغوا من شرب القهوة ذكر الكولونل فتزوليم إلزبث بأنها قد وعدته من قبل أن تعزف له ، فجلست من فورها إلى البيان ، وسحب هو مقعداً إلى جوارها . واستمعت السيدة كترين إلى نصف أغنية ثم أخذت تتحدث إلى ابن أختها الآخر حتى ابتعد عنها ، واتجه نحو البيان ، وجلس بحيث يستطيع أن يرى وجه العازفة الجميل . وشاهدت إلزبث ما كان يفعله ، فلما أمكنها أن تقف أول وقفة التفتت إليه وهى تبتسم وقالت له :

« إنك تريد أن تخيفنى يامستر دراسى بمجيئك على هذا النحو كله لتستمع إلى . ولكننى لن أزعج وإن كانت أختك تحسن العزف حقا »

فأجابها بقوله : « لن أقول إنك مخطئة ، لأنك لا يمكن أن تظنى حقا أنى أقصد إزعاجك » .

وضحكت إلزبث وقالت للكولونل فتزوليم : « إن قريبك يعلمك ألا تصدق كلمة واحدة مما أقول . إن قوله هذا يغرينى على أن أثأر لنفسى .

فقال الكولونل فتزوليم : « أرجو أن تسمعينى ماذا تريدين أن تتهميه به » .

« ستستمع — ولكن تهيأ لسماع شىء مروع جدا . إن أول مرة رأيته فيها كانت فى حفلة رقص — وماذا تظن أنه فعل فى هذه الحفلة ؟ إنه لم يرقص سوى أربع رقصات ، بالرغم من أن الرجال كانوا فيها قلائل ، وإنى لأعلم أن أكثر من سيدة واحدة كن جالسات فى انتظار من يراقصهن » .

« لم أكن قد تشرفت فى ذلك الوقت بمعرفة أية سيدة فى هذه الحفلة من غير الجماعة التى جئت معها » .

« هذا صحيح ، ولكن أليس فى وسع أى إنسان أن يقدم إلى غيره فى حجرة رقص ؟ »

فقال مستر دارسى : « ربما كان حكمى أصح مما كان لو أننى طلبت أن أعرف ، ولكنى لست أهلا لأن أقدم نفسى لمن لا أعرف »

واتجهت إلزبث إلى الكولونل فتزوليم وخاطبته بقولها : « وهل تسأل قريبك عن سبب هذا ؟ »

فأجابها بقوله : « إن فى وسعى أن أجيبك عن سؤالك ؛ إن السبب هو أنه لا يريد أن يشغل نفسه بهذا الأمر » .

وقال دارسى : « لا شك فى أننى لم أعط الموهبة التى أعطيت بعض الناس ، موهبة التحدث فى يسر مع من لم أرهم قط من قبل » .

وفى هـذه اللحظة قطعت عليهم السيدة كترين الحديث ، وقد جاءت لتعرف فيم كانوا يتحدثون . وعادت إليزبث إلى العزف من فورها ، واقتربت السـيدة كترين ، واستمعت إلى عزفها بضع دقائق ، ثم قالت لمستر دارسى :

« إنها تحسن تحريك أصابعها ، وإن لم يكن ذوقها مساويا لذوق آن ؟ ولو أن صحة آن أمكنتهـا من تعلم العزف لـكانت عازفة مطربة » .

ونظرت إليزبث إلى دارسى لتعرف إلى أى حـد يوافق على قول خالته ، ولـكنها لم يكن فى وسـعها أن تتبين ، لا فى هذا الوقت ولا فى غيره من الأوقات ، شيئاً من علامات الحب . وظلت السيدة كترين تبدى ملاحظاتها عن عزف إليزبث حتى جاءت عربة هـذه السيدة الجليلة لتقلهم جميعاً إلى المنزل .

الفصل السابع والعشرون

وبينما كانت إلزبث جالسة بمفردها فى صباح اليوم الثانى تكتب إلى جين بعد أن خرج مستر كلنز ومارية إلى عمل فى القرية ، إذ فوجئت بقرع على الباب ، وكان هذا إيذانا مؤكداً بقدوم زائر . وما كان أشد دهشتها حين فتحت الباب ودخل إلى الحجرة مستر دارسى ، مستر دارسى وحده .

وظهرت عليه هو أيضاً الدهشة حين وجدها بمفردها ، واعتذر لها عن إقلاق راحتها بأن أفهمها أنه كان يعرف أن السيدات جميعهن كن فى المنزل .

ثم جلسا ، وبعد أن فرغت من أسئلتها عمن فى روزنجس لاح لها خطر انقطاع الحديث بينهما انقطاعاً تاماً . وكان حتما مقضيا عليها إذن أن تتحدث فى شىء ما ؛ وتاقت نفسها إلى أن تعرف مايقوله فى موضوع ارتحالهم السريع فقالت له :

« ما أسرع ما غادرتم كلكم نذرفيلد فجأة فى شهر نوفمبر الماضى يا مستر دارسى ! ولعل مستر بنجلى وأختيه كانوا بخير حين غادرت لندن ؟ »

« لقد كانوا على أحسن حال ؛ وشكراً لك سؤالك عنهم » . ثم واصلت حديثها بعد صمت قليل :

« لقد فهمت أن مستر بنجلى لا يفكر كثيرا فى العودة إلى نذرفيلد فى يوم من الأيام »

« أكبر الظن أنه لن يقضى هناك إلا قليلا من وقته فى المستقبل »

« إذا لم يكن فى عزمه أن يقضى إلا قليلا من الوقت فى نذرفيلد فإن من الخير لهذه الجهة أن يخلى البيت إخلاء تاماً . ولعلنا فى هذه الحال نجد أسرة أخرى تستقر فيه »

وقال دارسى : « ولست أدهش إن باعه إذا عرض عليه ثمن ملائم له »

وصمتت إلزبث فما أحارت جواباً ، فقد كانت تخشى أن تتحدث أكثر مما تحدثت عن صديقه ، ولما لم يكن لديها شىء غير هذا تقوله ، فقداعتزمت أن تترك له عناء إيجاد موضوع صالح للحديث »

وفهم هو ما تريد ، وبدأ حديثه من فوره : « يبدو أن مستر كلنز كان موفقا فى اختيار زوجة له ، ومامن شك فى أنها قد سرها أن تستقر على بعد قليل من أسرتها وأصدقائها »

« أتقول على بعد قليل ؟ إن المسافة تقرب من خمسين ميلا ، ولم يكن يسعنى قط أن أقول إن مسز كلنز تقيم بالقرب من أسرتها »

« إن هذا دليل على تعلقك أنت بموطنك ، ويخيل إلىّ أن أى مكان غير مجاور للنجبورن يبدولك بعيدا »

ثم قرّب مقعده منها وقال لها :

« لا يمكن أن يكون من حقك ان تتعلق هـذا التعلق الشديد بهذه الجهة ، ولابد أنك لم تقيمى على الدوام فى لنجبورن »

ونظرت إليه إلزبث فى دهشة ، وشعر الرجل بتبدل فى شعورها فابتعد عنها بكرسيه ، وأخذ صحيفة من فوق المنضدة ونظر إلى إلزبث من فوقها ، وقال بصوت أهدأ من ذى قبل :

« أأنت مسرورة من كنت ؟ »

وتلى ذلك حديث قصير عن الريف ، سرعان ما قطعه دخول شارلوت وأختها ، وقد عادتا تواً من نزهتهما .

ولم يكد دارسى يخرج من الحجرة حتى قالت شارلوت : « ماذا عسى أن يكون معنى هـذا ؟ ما من شك ياعزيزتى إليزا فى أنه قـد أحبك ، وإلا لما جاء لزيارتنا بهذه الطريقة الخالية من الـكلفة »

فلما حدثتها إلزبث عن صمته بدا أن ذلك لم يكن أمرا كبير الاحتمال ، ولم يكن يسعهما آخر الأمر إلا أن تفترضا أن الباعث على زيارته لم يكن إلا أنه لم يجد ما يشغله فى هذا الوقت من السنة . ولما كان الرجال لا يستطيعون أن يظلوا على الدوام فى داخل البيوت ، ولما كان بيت القسيس قريبا منهما ، فقد أغرى هـذا القرب تينك الفتاتين من هذا الوقت على أن تسيرا إليه مشياً على أقدامهما فى كل يوم تقريبا منفردتين تارة ومجتمعتين تارة أخرى . واتضح أن الكولونل فتزوليم كان يأتى هناك لأنه يسره أن يجتمع بهما ، أما مستر دراسى

فلم يكن فى وسعه أن يأتى لهذا السبب عينه ، فقد كان كثيراً ما يجلس هناك عشر دقائق كاملة دون أن يفتح فاه بكلمة واحدة . ولم تدر مسز كلنز كيف تفسر هذا الصمت ، فقد كان هو من غير شك يطيل النظر إلى إلزبث ، وقد أشارت إلى صديقتها مرة أو مرتين بأنه لا يبعد أن يكون مهتما بها ، ولكن إلزبث كانت على الدوام تضحك من هذه الفكرة .

الفصل الثامن والعشرون

والتقت إلزبث بمستر دارسى فجأة أكثر من مرة وهى تتنزه على مهل كل يوم فى بستان روزنجس ، حيث كان يسمح لها هى وغيرها من السيدات أن يتنزهن . وأرادت أن تتحاشى تكرار هذا اللقاء فحرصت على أن تخبره فى أول مرة أن البستان من الأماكن التى يسرها أن تتردد عليها . فلما أن حدث هذا اللقاء مرة أخرى كان حدوثه غاية فى العجب ! لكنه مع ذلك حدث مرة ثانية بل وثالثة . ورأى هو فعلا أن لا بد له من أن يغير اتجاهه ويسير معها . ولم يتحدث إليها فى هذا اللقاء كثيراً ، ولم تر هى أن تشغل نفسها بكثرة الحديث معه أو الإصغاء إليه .

وكانت وهى تتمشى فى البستان فى أحد الأيام مشغولة بقراءة آخر خطاب ورد إليها من جين ، وكانت تقرؤه للمرة الثانية . وبينما هى كذلك إذ رفعت عينيها عن الخطاب فوجدت الكولونل فتزوليم مقبلا نحوها بدل أن تجد مستر دارسى يفاجئها بلقائها مرة أخرى ؛ فلما التقيا سارا إلى بيت القسيس معاً .

وسألته : « أتغادر كنت بالتأكيد يوم الثلاثاء ؟ » .

« نعم إلا إذا أجل ذلك دارسى مرة أخرى ، فهو ينظم عملنا كما يهوى ، وأنا منضم إليه فى الوصاية على الآنسة دارسى » .

« أحق ذلك ؟ قل لى من فضلك هل يكلفك عملك هذا عناء كبيراً ؟ إن من كن فى سنها من الفتيات يصعب أحياناً الإشراف عليهن » .

وشاهدت وهى تحدثه أنه ينظر إليها نظرة فاحصة ، وأيقنت من حالته أنها قد اقتربت بطريقة ما من الحقيقة ، ثم أجابت من فورها :

« لا حاجة لك بأن تنزعج . إنى لم أسمع قط شيئاً يسيء إليها ، وهى محببة جداً إلى بعض من أعرف من السيدات ، إلى مسز هرست وإلى الآنسة بنجلى ، وأظنك تعرفهما » .

« إن لى بهما معرفة قليلة ، فأخوهما صديق صدوق لدارسى » .

وقالت إلزبث بسرعة : « نعم ؛ إن مستر دارسى يحنو كثيراً على مستر بنجلى ويعنى به أعظم عناية » .

« يعنى به ! نعم ، إنى أعتقد حقاً أن دارسى يعنى به . وفى وسعى أن أستنتج من بعض ما قاله لى الأسباب التى تحملنى على الظن بأن بنجلى مدين له بالشىء الكثير » .

« ماذا تقصد بهذا القول ؟ » .

« إنها من المسائل التى لا يرغب دارسى بطبيعة الحال أن يعرفها الناس بصفة عامة ، لأنها إن وصل علمها إلى أسرة الفتاة ، كان هذا أمراً غير مستحب » .

« ثق أننى لن أذكره » .

« لم يقل لى شيئاً غير هذا : إنه يهنئ نفسه بأنه من وقت قريب

قد أنقذ صديقاً له من متاعب زواج همَّ أن يقدم عليه من غير تبصر ، ولكنه لم يذكر لى أسماء أو تفاصيل » .

« وهل أفضى إليك مستر دارسى بالأسباب التى حملته على هذا التدخل ؟ » .

«لقد فهمت أن لديه اعتراضات قوية على الزواج بهذه السيدة»

ومشت إلزبث وقلبها مفعم بالغضب ، ولم تكن تريد أن تعرف أكثر مما عرفت عن هذا الأمر ، ولذلك بدلت موضوع الحديث بسرعة ، فأخذت تتحدث عن مسائل أخرى حتى اقتربا من دار القس . وهناك أغلقت حجرتها على نفسها ساعة أن غادر الزائر الدار ، وكان في وسعها أن تفكر فى كل ما سمعته دون أن يقطع عليها أحد هذا التفكير . إنها لم تكن تشك فى يوم من الأيام أن مستر دارسى كانت له يد فى التفرقة بين مستر بنجلى وجين ؛ ولكنها كانت على الدوام تلقى معظم التبعة فى هذا الفراق على الآنسة بنجلى . بيد أنه كان هو السبب — كان كبرياؤه هو السبب — فى كل ما قاسته جين . لقد أضاع على هذا القلب الذى هو أكرم القلوب فى العالم وأكثرها حباً كل أمل فى السعادة .

« إن لديه اعتراضات قوية على الزواج بهذه السيدة » . هذه هى ألفاظ الكولونل فتزوليم ، وهذه الاعتراضات هى أن لها خالا محامياً وآخر من رجال الأعمال فى لندن .

وصاحت قائلة : « أما جين نفسها فلا يمكن أن يكون عليها

اعتراض ما ، فهى الجمال والطيبة بأكمل معانيهما ، وهى فى منتهى الذكاء ، ذات عقل مثقف وطباع جذابة . وليس ثمة شىء يمكن أن يؤخذ على والدى ، فإن له من المواهب مالا يستطيع المستر دارسى أن يزدريه . إلا أنها لما أخذت تفكر فى أمها ضعفت ثقتها بأسرتها بعض الشىء » .

وكان من أثر انفعالها ودموعها أن أصابها الصداع ، وزاد صداعها شدة قرب المساء حتى منعها هو وعدم رغبتها فى رؤية مستر دارسى أن تصحب أقاربها إلى روزنجس حيث دعوا لتناول الشاى .

ورأت مسز كلنز أنها متوعكة حقا ، فلم تلح عليها بالذهاب ، وحاولت بقدر ما تستطيع أن تمنع زوجها أن يلح عليها ، ولكن مستر كلنز لم يستطع أن يخفى خوفه من استياء السيدة كترين من بقاء إلزبث فى البيت .

الفصل التاسع والعشرون

ولما غادرت الأسرة الدار رأت إلزبث أن تشغل نفسها بفحص جميع الرسائل التى كتبتها إليها جين منذ وصلت إلى كنت ، وكأنما أرادت بذلك أن تزيد غضبها على مستر دارسى حدة على حدته بأكثر ما تستطيع . ولم يكن فى هذه الرسائل شكوى حقيقية ، ولكنها وجدت أن كل واحدة منها ، وأن كل سطر من سطورها تقريبا ، يعوزه ذلك المرح الذى كان أسلوبها يمتاز به عادة . وزاد من شعور إلزبث بآلام أختها نجاح مستر دارسى المخجل بما استطاع أن يسببه لها من آلام .

وفى هذه اللحظة تنبهت فجأة على رنين جرس الباب ؛ وما كان أشد دهشتها حين رأت مستر دارسى يدخل حجرتها ويسألها من فوره عن صحتها بلهجة سريعة . وردت عليه بأدب فاتر ، وجلس بضع دقائق ، ثم نهض وأخذ يمشى فى الحجرة . ودهشت إلزبث من هذا ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة ، وبعد صمت دام عدة دقائق أقبل عليها وهو مضطرب ، وبدأ حديثه بقوله :

« لقد حاولتُ عبثا ؛ إن هذا لا يمكن أن يكون ؛ إن عواطفى لا يمكن التغلب عليها ؛ يجب أن تسمحى لى بأن أفضى إليك بعظيم إعجابى بك وحبى إياك » .

وكانت دهشة إلزبث أعظم من أن تعبر عنها الألفاظ ، فحدقت فيه بناظريها ، وامتقع وجهها ، وارتابت فيما سمعت ، وصمتت . وعد ذلك منها تشجيعا كافيا له فأتبع حديثه السابق على الفور بالإفضاء إليها بكل ما يشعر به نحوها ، وأحسن التعبير عن قصده ، ولكن كان ثمة عواطف غير عواطف القلب يجب التعبير عنها مفصلة ؛ ولم تكن ألفاظه التى عبر بها عن كبريائه بأفصح من التى عبر بها عن عواطفه . لقد عبر لها عن شعوره بانحطاط منزلتها ، وبأن زواجه بها ينزل من قدره ، وأكد ذلك بحماسة يتعذر معها أن يوفق فى خطبته .

ولم يكن فى وسعها رغم كرهها المتأصل فى نفسها له أن تدرك ما فى حب هذا الرجل إياها من تقدير عظيم لها ؛ ومع أن ذلك لم يثنها عن قصدها لحظة واحدة فإنها قد أحزنها فى بادئ الأمر ما سيصيبه من ألم ، حتى آثارها إحساسها بما فى عباراته من إهانة لها ، فلم يترك لها غضبها أية رأفة به . على أنها حاولت أن تتملك شعورها ، وأن ترد عليه رداً هادئا حين يفرغ من إقواله . وختم حديثه بقوله إنه يرجو أن تجزيه الآن بقبول زواجه بها . ولم يكن يصعب عليها أن تدرك ، وهو يقول هذا ، أنه لا يشك فى أنه سيتلقى منها الجواب الذى يحبه ؛ وكل ما كان لهذا الظرف من أثر أنه زاد فى غضبها ، فلما أتم حديثه أحمرت وجنتاها وقالت له :

« لو أننى كان فى مقدورى أن أشعر بأن لك علىّ يد لشكرتها لك الآن — إنى لم أرغب قط فى ثنائك علىّ ، وما من شك فى أنك

قد نطقت بهذا الثناء وأنت كاره أشد الكره ، وإن الأسباب التى تقول لى إنها طالما منعتك أن تعبر لى عن عواطفك لا يصعب عليها أن تتغلب على هذه العواطف بعد هذا الإيضاح » .

وأحدقت عينا مستر دارسى فى وجهها ، وبدا وكأنه قد تملكه من الغضب بقدر ما تملكه من الدهشة ، وامتقع وجهه ، وظهر اضطرابه على كل جارحة من جوارحه ، ثم قال لها آخر الأمر بصوت أرغم نفسه على أن يهدئه :

« أهذا كل ما يشرفنى أن أنتظره من جواب ؟ وقد يكون لى أن أطلب أن تخبرينى عن أسباب رفضك إياى على هذا النحو الذى لم تحاولى فيه شيئاً من المجاملة » .

وأجابته بقولها : « وقد يكون لى أنا أيضاً أن أسألك لم اخترت أن تخبرنى بأنك تحبنى رغم إرادتك ، وأن تقصد أن تهينى قصداً جليا لاخفاء فيه ؟ ألم يكن فى هذا بعض العذر عن سوء الأدب ، إذا كنت فى ردى عليك غير مؤدبة ؟ على أن لدىّ أسبابا أخرى . هل تظن أن ثمة اعتباراً أيا كان شأنه يغرينى بأن أقبل الرجل الذى كان هو السبب فى القضاء على سعادة أخت لى ، أحبها حباً لا يفوقه حب سواه ، ولربما كان هذا القضاء قضاء أبديا ؟ » .

وما أن نطقت بهذه الألفاظ حتى امتقع وجه مستر دارسى ، ولكنه استمع إليها وهى تواصل حديثها دون أن يقاطعها :

« لا شىء مطلقا يمكن أن يكفر عن هذا العمل غير الكريم

الذى عملته هناك ؛ إنك لا يسعك أن تنكر أنك كنت السبب الأكبر ، إن لم تكن السبب الوحيد ، فى التفرقة بين الاثنين » .

ثم سكتت ورأت أنه يصغى إليها وهيئته تدل على أنه لم يخالجه قط شعور بالندم على ما فعل .

فأعادت عليه قولها : « هل تنكر أنك فعلت هذا ؟ » .

فأجابها بهدوء : « لست أرغب فى أن أنكر أنى فعلت كل ما أستطيع لأفرق بين صديقى وأختك ، أو أنى مغتبط بما وفقت إليه من نجاح . ولقد كنت أكثر شفقة عليه منى على نفسى » .

ولم يظهر على إلزبث أنها لاحظت هذه الإشارة إشارة الأدب والمجاملة ، ولكنها لم يفتها مغزاها ، ولم يهدئ هذا المغزى من شعورها .

وواصلت حديثها قائلة : « وليست هذه هى المسألة الوحيدة التى أكرهك من أجلها ، فقد تكشفت لى أخلاقك قبل ذلك بزمن بعيد فى القصة التى سمعتها من مستر وكهام من شهور كثيرة » .

وقال لها دارسى بصوت أكثر اضطرابا ، وبوجه أكثر احمراراً من ذى قبل : « إنك تهتمين اهتماماً كبيراً بشئون هذا السيد » .

« ومنذا الذى يعرف آلامه ، ولا تضطره هذا الآلام إلى الاهتمام بشأنه ؟ » .

وأعاد دارسى بازدراء قولها « آلامه » ، ثم أضاف إلى ذلك : « نعم ، لقد كانت آلامه شديدة حقا » .

وصاحت إلزبث بحدة : « وكانت من صنعك ، لقد أوصلته أنت إلى حالة الفقر التى هو عليها الآن » .

وصاح دارسى وهو يتنقل بخطاً سريعة فى الحجرة : « وهـذا هو رأيك فىّ . وإنى أشكرلك شرحك الوافى لهذا الرأى » . ثم وقف والتفت إليها وأضاف إلى قوله السابق : « ولـكن لعل هذه الإساءات كانت تنسى ، لو لم يؤلم كبرياءك اعترافى الصريح بالأسباب التى حملتنى على ترددى الطويل فى خطبتك . ولست أخجل من العواطف التى أفضيت بها إليك ، فقد كانت عواطف طبيعية وعادلة . وهل كنت تنتظرين منى أن أغتبط بانحطاط منزلة أسرتك ؟ » .

وأحست إلزبث بأن غضبها يزداد فى كل لحظة ، ولـكنها مع ذلك حاولت أن تتكلم بهدوء وقالت :

« لم يكن فى وسعك أن تعرض علىّ زواجك بى بوسيلة تغريبنى بقبول هذا العرض » .

وظلت دهشته بعد هـذا القول واضحة كما كانت . ثم واصلت حديثها قائلة :

« لقد انطبع فى نفسى من بادئ الأمر اعتقاد قوى بكبريائك وأنانيتك ، ولم يكد يمضى شهر واحد على تعارفنا حتى أحسست بأنك آخر رجل فى العالم يستطيع أحد أن يقنعنى بزواجه » .

« حسبك ما قلته ياسيدتى ، وأرجو المعذرة عما شغلته من وقتك ، وقبول أطيب تمنياتى لك بالصحة والهناءة » .

قال هذه العبارات ثم بادر إلى الخروج من الحجرة .

وكان ما استولى على عقل إلزبث من الاضطراب قد بلغ غايته وسبب لها شديد الألم ، واستولى عليها ضعف شديد أرغمها على الجلوس والبكاء نصف ساعة . وزادت دهشتها فى كل لحظة . أدهشها أن يعرض عليها مستر دارسى الزواج بها ، وأدهشها أن يصل حبه إياها حداً يرغب معه فى الزواج بها رغم كل الاعتراضات التى حملته على أن يمنع صديقه أن يتزوج بأختها ، وهى اعتراضات لا يمكن أن تفقد شيئاً من قوتها فى حاله هو أيضاً ! وأدهشها كبرياؤه المخجل واعترافه دون حياء بما كان له من يد فى أمر چين ! وأدهشها أيضاً مسلكه المجرد من الإحساس وقسوته على مستر وكهام .

وظلت تقلب فى عقلها هذه الآراء المقلقة حتى وصلت إليها أصوات العائدين من روزنجس فأسرعت إلى حجرتها .

الفصل الثلاثون

واستيقظت إلزبث فى صباح الغد وهى تفكر فى هذا الموضوع نفسه . ذلك أنها لم يكن فى وسعها أن تركز عقلها فى موضوع سواه ؛ ولذلك اعتزمت عقب الإفطار بزمن قليل أن تخرج إلى النزهة والرياضة . وبينما هى تتجه رأساً إلى طريقها المحبوب تذكرت أن مستر دارسى يأتى إلى ذلك المكان أحيانا ، فوقفت لساعتها ، واتجهت إلى الطريق الضيق خارج البستان .

وبعد هنيهة لمحت رجلا فى داخل البستان ؛ وكانت قد غيرت طريقها مبتعدة عنه ولكنها حين سمعت صوتا يناديها اتجهت نحو بابه ، وإن كان قد تبين لها أن هذا الصوت هو صوت مستر دارسى . وكان هو أيضا فى الوقت عينه قد وصل إلى الباب ، فلما تقابلا أخرج خطابا وقال لها فى هدوء وكبرياء : « هل تتفضلين على بقراءة هذا » : ثم انحنى إليها انحناءة صغيرة ، وأدار ظهره إليها ، ولم يلبث أن اختفى عن ناظريها .

وفضت إلزبث الخطاب وهى مندهشة أعظم دهشة ، فأبصرت ورقتين مكتوبتين بخط صغير . وكان الخطاب مؤرخا من روزنجس فى الساعة الثامنة صباحا وهذا نصه :

« لاتنزعجى ياسيدتى حين تتسلمين هذه الرسالة ؛ فقد كتبتها

وليس من قصدى أن أولك أو أن أذل نفسى بالإشارة من غير داع إلى ماحدث بيننا فى الليلة الماضية . ولكن سمعتى تتطلب أن تُكتب هذه الرسالة وتُقرأ . وأرجو منك أن تعيرها التفاتك إنصافاً لى !

« لقد وجهت إلىّ فى الليلة الماضية تهمتين مختلفتين ، أولاهما أنى قد فرقت بين مستر بنجلى وأختك ، والثانية أنى خيبت آمال مستر وكهام . ومن واجبى الآن أن أشرح لك هذين الأمرين .

« لم يمض علىّ فى هرتفوردشير غير قليل من الوقت حتى رأيت أن مستر بنجلى يفضل أختك الكبرى عن كل فتاة فى ذلك المكان ؛ ولم أعر هذا الأمر عناية جدية لأنى كثيراً مارأيته يحب غيرها من قبل . فلما اجتمعنا فى الحفلة الراقصة فى نذرفيلد ، حيث كان لى شرف مراقصتك ، علمت لأول مرة ، من خبر ألقاه إلىّ سير وليم لوكاس بطريق الصدفة ، أن الالتفات الذى يوجهه مستر بنجلى إلى أختك قد جعل الناس يتوقعون اقترانه بها . وأخذت من هذه اللحظة أراقب صديقى عن كثب ، ورأيت أن حبه للآنسة بنت كان أقوى مما شاهدته من قبل فيه . وراقبت أختك أيضا ، وكان مظهرها وخلقها ينمان عن صراحة ومرح وجاذبية هى التى عهدتها فيها من قبل ؛ ولكنى لم أر شاهداً ما على عاطفة قوية نحوه . فإذا لم تكونى أنت مخطئة هنا ، فلا بد أن أكون أنا المخطئ ، وإن معرفتك بأختك التى تفوق معرفتى بها لتجعل الرأى الثانى مرجحا .

« ولم تكن كل اعتراضاتى على زواجهما هى وحدها التى ذكرتها لك فى الليلة الماضية حين كنت أشرح موقفى ، بل كانت هناك اعتراضات أخرى . ذلك أن مركز أسرة والدتك ، وإن كان مركزا بغيضا ، لا يعد شيئاً مذكورا إذا قيس إلى ما تظهره هى نفسها من سوء التربية ، وما تظهره أخواتك الثلاث الصغار ، وما يظهره والدك من ذلك فى بعض الأحيان . وأرجو المعذرة عن هذا القول فإنى ليؤلمنى حقا أن أسىء إليك . ولكن الذى يعزيك عن هذا أن تعلمى أن سلوكك أنت وأختك رغم وجودكما فى هذا الوسط كان سلوكا مبرءا من هذه العيوب ، وهو سلوك يشرفكما جميعاً .

« وثارت مخاوف أخوات بنجلى بقدر ما ثارت مخاوفى ، وأنت تعرفين السبيل التى سلكناها ، ولكنى لا أظن أن هذه الخطا كانت تكفى لمنع الزواج ، لو لم أؤكد لبنجلى أن أختك لا تعنى به . ولما كان هو رجلا شديد التواضع بطبيعته فقد كان من السهل عليه أن يصدق أنه قد خدع نفسه .

« وليس فى وسعى أن ألوم نفسى على أنى فعلت هذا الفعل ، وليس ثمة إلا نقطة واحدة لاأرتاح حين أفكر فيها ، تلك هى أنى تعمدت خديعته بأن أخفيت عنه أن أختك فى لندن .

« أما التهمة الأخرى وهى أنى أسأت إلى مستر وكهام فكل ما أستطيع أن أدفعها به هو أن أقص عليك القصة كلها . لقد كان مستر وكهام ابن وكيل ضيعتى ، وكان أبوه هذا رجلا جديراً

بالاحترام . وقد عنى والدى بتعليم ابنه ، وكان يرجو أن يتولى منصباً فى الكنيسة ، ولهذا أراد أن يرصد له ما يلزمه من المال فى هذا المنصب . وكنت أنا شاباً فى نفس سنه تقريباً ، فأدركت من البداية سوء خلقه ، وكان يعنى بإخفائه عن والدى . وقبل أن يتوفى أبى أوصانى بأن أعمل على رقيه ، وأن أرتب له معاشاً يقوم بأود أسرته إذا ما انخرط فى سلك رجال الدين . ولكن مستر وكهام كتب بعد وفاته بزمن قليل يقول إنه قرر ألا يكون من رجال الدين ، وإنه يرغب بدلا من هذا أن يدرس القانون . وطلب إلىّ من المال ما يعينه على الوصول إلى غرضه . وأعطيته هذا المال عن رضاً وطيب خاطر ، لعلمى أنه لا يصلح لأن يكون قسيساً . وعلى هذا فإنه يكون قد تخلى عن كل حق له فى أن يعان على الدخول فى حظيرة الكنيسة

« ثم خلا منصب قسيس القاطمة فيما بعد ؛ ولما كان قد أهمل دراسة القانون وعاش عيشة البطالة ، فقد طالب بهذا المنصب ، ولكننى رفضت طلبه .

« وفى الصيف الماضى عاد إلى إقحام نفسه فى وجهى بطريقة آلمتنى أشد الألم . ولا بد لى هنا أن أفضى إليك بسر من أسرار الأسرة . ذلك أن أختى كانت قد تركت المدرسة فى هذا الوقت ذاته ، وعهد إلى سيدة فى رمزجيت أن تعنى بها . وتبين أنى كنت مخطئاً فى ثقتى بهذه السيدة ، فقد سمحت إلى وكهام أن يغازل أختى ، واتفقت هذه على أن تفر معه . وذهبت أنا لزيارتها قبل

الوقت المتفق عليه لهذا الفرار واستحت چورچينا من نفسها ، واعترفت لى بكل شىء . وفى وسعك أن تتصورى ما شعرت به وقتئذ وما عملته .

« وكان أكبر ما يسعى له مستر وكهام من غير شك هو ثروة أختى ، وهى ثروة تبلغ ثلاثين ألف جنيه ، ولكنى لا يسعنى إلا أن أفترض أيضاً أنه كان يرجو بذلك أن ينتقم لنفسه منى .

« ويشهد الكولونل فتزوليم بصدق كل ما قصصته هنا ؛ وسأحاول أن أجد فرصة تمكننى من أن أضع هذا الخطاب بين يديك فى الصباح ؛ وليس لدىّ ما أضيفه إلا أن أدعو الله أن يبارك فيك

فتز وليم دارسى

الفصل الحادى والثلاثون

وجاشت نفس إلزبث بجميع أنواع العواطف وهى تقرأ الرسالة باهتمام كبير . وكان أول ما أحست به هو الامتعاض منها ، ومالت إلى عدم تصديق شيء مما حوته ، وصاحت قائلة : « لا بد أن يكون هذا كذباً ! إن هذا لا يمكن أن يكون ! » ولما أتمت قراءة الرسالة كلها أخفتها من فورها ، وقالت إنها لن تنظر فيها مرة أخرى .

ولكن هذا لم يكن ، فلم تكد تنقضى نصف دقيقة حتى فتحت الرسالة من جديد ، وقرأت ما فيها من التفاصيل الخاصة بوكهام مرة بعد مرة بمنتهى العناية . إن أحد الرجلين اللذين تتحدث عنهما كان بريئاً من الذنب ، وأما الآخر فقد بلغ من النذالة ما يجعله جديراً بما هو أقل من الازدراء ؛ تُرى أيهما هذا وأيهما ذاك ؟ وحاولت أن تذكر شاهداً واحداً على طيبة وكهام ، ولكنها لم تجد . لقد كان يسر من رآه بحسن مظهره وصوته وآدابه ، أما أخلاقه الحقة فلم تكن تعرف عنها شيئاً ، وقد تأكدت بعض التأكد من قصة محاولته مع الآنسة دارسى فى صباح أمس فقط ، وكان ذلك فى خلال حديث لها مع الكولونل فتز وليم ، وهو الذى طلب إليها أن ترجع إليه لتعرف منه جميع التفاصيل .

وكانت تذكر بوضوح تام كل ما دار بينها وبين وكهام من

حديث فى أثناء السهرة الأولى بمنزل مستر فلبس . وكان كثير من عباراته لا يزال عالقاً بذاكرتها . وأدهشها فى هذه اللحظة ما ينطوى عليه إفضاؤه بهذه المعلومات إلى شخص غريب عن الأسرة من عدم الذوق ، وعجبت كيف غاب ذلك عنها قبل الآن . ورأت كذلك ما تنطوى عليه الطريقة التى أقحم بها نفسه من سوء التربية ، وذكرت أنه كان يفخر بأنه لا يخشى أن يرى مستر وارسى ، ولكنه مع ذلك امتنع عن حضور حفلة الرقص التى أقيمت فى نذرفيلد فى الأسبوع الثانى نفسه ، وذكرت كذلك أنه لم يقص قصته على أحد غيرها إلا بعد أن انتقلت أسرة نذرفيلد إلى الريف ، فكان بعد انتقالها يقصها بصراحة ، مع أنه قد أكد لها من قبل أن إجلاله للأب يمنعه دائماً أن يفضح أمر الابن . وغلبها الخجل الشديد من نفسها ، وشعرت بأنها كانت عمياء متحاملة سخيفة .

وقرأت مرة أخرى جزء الرسالة الخاص بجين ، ولم يسعها أن تنكر عدالة ما وصف به أختها ، وأحست بأن جين وإن كانت عواطفها قوية ، لم تقصح عنها إلا قليلا جداً .

ولما وصلت إلى ذلك الجزء الذى ذكرت فيه أسرتها بعبارات الذم المذلة ، وإن كانت هذه الأسرة جديرة بها ، تملكها شعور من الخجل شديد . ولم يكن ليفوتها أن تشعر بالثناء الذى وجهه إليها وإلى أختها ، ولكنه مع ذلك لم يرح بالها ؛ ولما فكرت فى أن ما أصاب جين من خيبة فى آمالها كان فى واقع الأمر من منع أقرب الناس

إليها ، شعرت بكآبة تفوق ماشعرت به فى أى يوم من أيامها الماضية .

وأوشكت الآن أن تحفظ ما فى الخطاب عن ظهر قلب . لقد درست كل جملة فيه ، وكان شعورها نحو كاتبه يختلف كل الاختلاف بين لحظة ولحظة ، فإذا ذكرت أسلوبه الذى خاطبها به امتلأ قلبها غضبا عليه ، ولكنها إذا فكرت فيما كان فى حملتها عليه من ظلم له ارتد غضبها إليها هى ، وأصبحت خيبته فى عواطفه موضع الأسى . وأثار تعلقه بها شكرها له كما أثارت أخلاقه بوجه عام إجلالها إياه ، ولكنها لم يكن فى مقدورها أن توافق على خطبته ، أو تندم على رفضها له ، أو تشعر بأقل ميل من جانبها لرؤيته بعد اليوم . وكانت تجد سلوكها الماضى مصدر ألم دائم لها ، وتجد فى عيوب أسرتها ما يحزنها ويضرم قلبها ، وذلك أنها لم تكن من العيوب التى يمكن علاجها .

فأما أبوها فلم يكن يكلف نفسه فى يوم من الأيام عناء السيطرة على حق أختيها الصغيرتين ، بل كان يقنع بالسخرية منهما ؛ وأما والدتها فكانت أخلاقها أبعد ما تكون عن الأخلاق الحميدة ، ولهذا لم تكن تعرف قط ما فى أخلاق بناتها من عيوب ، وكثيراً ما انضمت إلزبث إلى جين وحاولتا أن تكبحا ما فى طباع كترين وليديا من غباء وعدم فطنة ، ولكن كيف السبيل إلى إصلاح شأنهما وهذه أمهما تشجعهما بتهاونها ، وهذه كترين الضعيفة النفس ، العصبية المزاج ، المستسلمة

كل الاستسلام لقيادة ليديا، يسوؤها أن تسديا إليها النصح ؛ وهذه ليديا العنيدة المهملة لا تكاد تقبل أن تستمع إليهما ؟ لقد كانت هاتان الفتاتان جاهلتين ، متعطلتين ، مغرورتين ؛ وما دام فى مريتن ضابط فإنهما لا تنفكان تعملان على استلفات نظره ، وما دامت مريتن يمكن الوصول إليها من لنجبورن سيرا على الأقدام ، فإنهما لا تنقطعان عن الذهاب إليها فى كل يوم .

وكان اهتمامها بأمر چين مما يشغل أيضا بالها ، وقد زاد إحساسها بمأساة هذه الفتاة بعد ذلك الإيضاح الذى استمعت إليه من مستر دارسى ، والذى أعاد إليها حسن ظنها ببنجلى .

وليس يصعب على الإنسان أن يعتقد أن روح الزبث المرحة بطبيعتها قد تأثرت إلى حد كاد يجعل من المستحيل عليها أن تظهر ولو قليلا من البهجة ؛ وأخذت تترقب وهى راضية قرب انتهاء زيارتها إلى هنزفورد فى الأسبوع التالى ؛ وكان مستر دارسى قد غادر المكان بعد وقت قليل من إعطائها الخطاب .

وأخيرا حزمت الحقائب واختتمت عبارات الوداع ، ولم تكن تعوزها خطبة طويلة من مسز كلنز ، وسارت العربة إلى لندن حيث تقرر أن تصحب چين بقية الجماعة إلى بيتها .

وقالت ماريا بعد صمت دام بضع دقائق : « رحماك اللهم ، يبدو

لنا كأنه لم يمض على قدومنا إلا يوم أو يومان ! ومع ذلك فما أكثر ما حدث فى هذه الفترة ! » .

وقالت صاحبتها وهى تتنهد : «لقد حدث الشىء الكثير حقا» .

« لقد تعشينا تسع مرات فى روزنجس ، وشربنا الشاى مرتين وما أكثر ما سأتحدث عنه ؟ » .

وأضافت إلزبث إلى ذلك فى نفسها : «وما أكثر ماسأضطر أنا إلى إخفائه ! »

الفصل الثانى والثلاثون

وكان الأسبوع الذى خرجت فيه الفتيات الثلاث ليذهبن معا إلى هرتفورد شيرهو الأسبوع الثانى من شهر مايو . ولما اقتربن من النزل الذى اتفق أن تقابلهن عنده عربة مستر بنت أبصرن بسرعة كتى وليديا تطلان من نافذة غرفة الطعام فى الطابق الأعلى ؛ وكان ذلك شاهدا على أن السائق قد وصل فى الموعد المحدد له . وكانت الفتاتان قد أقامتا فى هذا المكان أكثر من نصف ساعة قضتاها كلها فى مرح وسرور ، بعضها فى زيارة حانوت للقبعات ، وبعضها فى النظر إلى الضباط القائمين بالحراسة ، وبعضها الآخر فى إعداد نابل الطعام

وبعد أن حيت الفتاتان أختيهما أشارتا إشارة الظفر إلى مائدة أعدت عليها اللحوم الباردة وصاحتا : « أليست هذه مفاجأة سارة ؟ »

وأضافت ليديا إلى ذلك قولها : « ونحن نعتزم أن نضيفكن جميعاً ، ولكن يجب عليكن أن تقرضننا المال لأننا أنفقنا ماعندنا منه فى ذلك الحانوت من وقت قصير » . ثم أظهرت ما ابتاعته وقالت : « انظرن إلى هذه الأشياء ، لقد ابتعت هذه القبعة ، ولست أظن أنها جميلة جداً ، ولكنى رأيت أن شراءها وعدم شرائها سيان ، سأفصل أجزاءها بعضها من بعض ساعة أصل إلى البيت ثم أعيد [illegible] من جديد »

ولما عابتها أختاها وقالتا إنها قبيحة واصلت حديثها قائلة : « إن الإنسان لا يهمه ما يلبسه فى هذا الصيف ، لأن «الفرقة العسكرية سترحل عن مريتن فى خلال أسبوعين »

وصاحت إلزبث فى غبطة عظيمة : « أتغادرها حقا ؟ »

« إنها ذاهبة لتعسكر بالقرب من بريتن ، وإنى لشديدة الرغبة فى أن يأخذنا والدنا جميعاً لنقضى الصيف هناك ! وأحب الأشياء إلى أمنا أن تذهب هى أيضا ! »

وقالت إلزبث فى نفسها : « نعم ، إن ذلك إذا حدث ليبعث فى النفس السرور حقا . ألا ما أعظم هذا ! أنكون نحن فى بريتن حيث يوجد معسكر غاص بالجند ، بعد أن أفسد علينا أمرنا فرقة صغيرة ، والرقص فى مريتن كل شهر ؟ »

وقالت ليديا بعد أن جلسن إلى المائدة : «والآن إن عندى لكن أخباراً ؟ إنها أخبار طيبة جداً عن شخص نحبه جميعاً »

ونظرت چين وإلزبث كلتاهما إلى الأخرى ، وقيل للخادم أن لاموجب لبقائه ، وضحكت ليديا وقالت :

« إن هذا يتفق بالضبط وفطنتك ومحافظتك على الأصول المرعية . لقد ظننت أن الخادم يجب ألا يسمع ما سأقول ، كأنه يهمه أن يسمعه ! ولكنه إنسان قبيح بشع ، ويسرنى أن قد ذهب ، والآن إليكما ماعندى من الأخبار ، إنها أخبار عن عزيزنا وكهام . لاخوف من أن يتزوج ميرى كنج ، فقد غادرت المكان ، ونجا وكهام »

وأضافت إلزبث : « ونجت ميرى كنج ! نجت من زواج ليس فيه شيء من التبصر من ناحية الثروة »

وبعد أن فرغ الجميع من تناول الطعام وأدت الفتاتان الكبيرتان الثمن، جيء بالعربة ، وجلسن فيها جميعاً ، بعد أن قاسين فى ذلك بعض الصعوبة ، ومعهن صناديقهن ، وأكياس شغلهن ، وطرودهن ، وما ابتاعته كتى وليديا ، وهو مالم ترحب الجماعة بأخذه معها .

وصاحت ليديا : « لقد حُشرنا فى العربة حشراً ما أحسنه ! والآن فلنسترح ونتحدث ونضحك طول الطريق حتى نصل إلى المنزل ، ولنسمع أول الأمر ماحدث لكما جميعاً مذ سافرتما . هل رأيتما رجالا حسانا ؟ لقد كنت عظيمة الرجاء فى أن تحصل إحدا كما على زوج لها قبل أن تعود إلينا ، إنى لأصرح لكما بأن چين ستصبح عما قريب عانسا ، لقد كادت تبلغ الثالثة والعشرين من العمر ، وإذا لم أتزوج أنا قبل أن أبلغ هذه السن استحييت من نفسى ! أى والله ! ما أشد رغبتى فى أن أتزوج قبل أن تتزوج واحدة منكن ! »

وبهذه الطريقة الصاخبة حاولت ليديا أن تسلى رفيقتيها فى الطريق إلى لنجبورن ، مستعينة على ذلك بما تضيفه كتى من عبارات . ولم تعرها إلزبث إلا أقل ما تستطيع من الالتفات ، ولكنها لم يفتها أن تسمع اسم وكهام يذكر مراراً عدة .

واستقبلت الفتيات فى المنزل أحسن استقبال . وسر مسز بنت

أن ترى جين جميلة كعهدها بها ، وقال مستر بنت لإلزبت أكثر من مرة فى أثناء العشاء :

« لقد سرنى أنك عدت بالزى » .

وكانت الجماعة التى ضمتها حجرة الطعام كبيرة العدد ، لأن آل لوكاس قد حضروا كلهم تقريباً لاستقبال مارية وسماع الأخبار . وأخذت السيدة لوكاس تسأل مارية ، وقد جلست فى الجهة المقابلة لها من المائدة ، عن صحة ابنتها الكبرى ، وعن شئون بيتها . أما مسز بنت فقد كان يشغلها أمران ، أولهما أن تستخلص وصفا للأزياء الحديثة من جين التى كانت تجلس إلى المائدة على بعد منها ، وفى الصف الذى كانت هى جالسة فيه ؛ وثانيهما أن تعيد ما تسمعه على بنات لوكاس الصغيرات . وأخذت ليديا تصف بصوت أعلى من صوت جميع الحاضرات جميع متع الصباح المختلفة لكل من تعنى بالإصغاء إليها .

وكان مما قالته : « آه ياميرى ! ليتك ذهبت معنا ، فقد كان سرورنا عظيما حقا ! وما كان أعلى صوتنا فى حديثنا وضحكنا ، حتى لقد كان فى وسع أى إنسان أن يسمعنا على بعد عشرة أميال منا ! »

وأجابت ميرى عن ذلك بتؤدة : « حاشاى يا أختى العزيزة أن أزدرى هذه المتع ، ولكنى لاأخفى عنك أنها لا تسبب لى أية بهجة ، وأفضل منها فى نظرى أن أقرأ كتابا » .

ولكن ليديا لم تسمع كلمة واحدة من هذا الرد ؛ ذلك أنها قلما

كانت تستمع لإنسان ما أكثر من دقيقة واحدة ، ولم تلتفت قط إلى ميرى .

وألحت ليديا على سائر البنات بعد منتصف النهار أن يسرن إلى مريتن ، ولكن إلزبث عارضت الفكرة باستمرار ، وحجتها أنه يجب ألا يقول أحد إن بنات بنت لا يستطعن البقاء فى بيتهن نصف نهار قبل أن يجرين وراء الضباط . على أنه كان هناك سبب آخر لمعارضتها ، فقد كانت تخشى أن ترى وكهام مرة أخرى ، واعتزمت أن تتحاشى لقاءه أطول وقت مستطاع .

الفصل الثالث والثلاثون

ولم تستطع إلزبث أن تصبر أكثر مما صبرت على عدم الإفضاء إلى چين بما حدث ، واعتزمت أخيراً أن تكتم فى نفسها جميع التفاصيل الخاصة بأختها ، وبعد أن هيأت ذهنها لسماع ما يدهشها ، أخذت تقص فى صباح اليوم التالى معظم ما حدث بينها وبين مستر دارسى . ثم تحدثت لها عن رسالته ، وأعادت على مسامعها كل ما حوته خاصاً بچورچ وكهام . وما كان أشد وقع هـذا على چين المسكينة التى كانت تتمنى لو أنها خرجت من هذا العالم دون أن تصدق أن مثل هذا الشر الذى تجمع فى فرد واحد يمكن أن يوجد فى النوع الإنسانى كله .

وكان مما قالته : « لست أعرف متى تلقيت صدمة أكثر من هذه ! أيبلغ وكهام من الدناءة هذا المبلغ ؟ إن هذا لا يكاد يصدقه العقل . ثم فكرى ياعزيزتى لزى فى مستر دارسى المسكين وما قاساه دون ريب . فكرى فى خيبة آماله مضافاً إليها علمه بسوء ظنك فيه واضطراره إلى أن يفضى بما أفضى به عن أخته ! » .

« إن هناك نقطة أحب أن أستشيرك فيها ، أريد أن أعرف هل يجب علىّ أن أكشف إلى من أعرفهم بوجه عام عن أخلاق وكهام أولا يجب علىّ أن أفعل ذلك ؟ » .

وصمتت الآنسة بنت قليلا ثم أجابتها بقولها : « لا شك فى أنه لا داعى لأن يفضح هـذه الفضيحة الشنيعة ؛ وما رأيك أنت فى هذا ؟ » .

رأيى هو أنه يجب ألا أحاول هذا ، فستر دارسى لم يجز لى أن أعلن إلى الناس ما قاله لى ، ولهذا لن أقول الآن شيئاً عما سمعته » .

« إنك محقة كل الحق . إن إعلان أخطائه على الجمهور قـد يقضى عليه قضاء أبديا . ولربما كان هو الآن يندم على مافعل ، ويتوق إلى إصلاح نفسه » .

وأدى هذا الحديث إلى إزالة ما كان قد استولى على عقل إلزبث من اضطراب . لقد تخلصت من سرين من الأسرار التى ظل صدرها ضائقا بها أسبوعين ، وأيقنت أن چين تحب أن تستمع إليها كلما أرادت أن تتحدث لها بعد ذلك عن هذين السرين ، غير أنها لم تجرؤ على أن تقص على أختها النصف الثانى من خطاب دارسى ، أو أن تشرح لها كيف كان صديقه يقدرها أعظم تقدير . لقد كانت هذه معلومات لا يستطيع أحد أن يشاركها فيها .

وأتيح لها حينئذ من الوقت ما يمكنها من ملاحظة نفسية أختها ، لقد لاحظت أن چين لم تكن سعيدة ، فقد كانت لا تزال تشعر بعطف قلبى على بنجلى .

وقالت مسز بنت فى يوم من الأيام : « حدثينى يالزى ، ماذا ترين الآن فى أمر چين المحزن ؟ » .

« لست أظن أن مستر بنجلى سيسكن فى نذر فيلد بعد الآن »

« فليكن ! وليختر لنفسه مايحلو له، ولكن الذى أجد فيه سلوى هو أن حين ستموت كسيرة القلب ، وحينئذ يندم هو على مافعل »

ولما كانت إلزبت لم تجد شيئاً من السلوى فى هذه الأقوال فإنها لم تجب بشىء .

وواصلت أمها الحديث بعدئذ قائلة : « وهكذا يا لزى يعيش آل كلنز عيشة راضية ، أليس كذلك ؟ هذا كله حسن ، وكل ما أرجوه أن تدوم هذه العيشة الراضية . وما شأن مائدتهم ؟ لست أشك فى أن شارلوت بارعة فى إدارة المنزل . وإذا كانت تبلغ من الحرص مبلغ أمها فإنها تقتصد كثيراً . وأظن أنهم يتحدثون كثيراً عن استيلائهم على لنجبورن بعد وفاة والدك . ولاريب فى أنهم ينظرون إليه نظرتهم إلى ملكهم الخاص . وإنى لأستحى أن تكون لى ضيعة آلت إلىّ بمثل هذه الشروط الظالمة ».

الفصل الرابع والثلاثون

وكان الأسبوع الثانى بعد عودتهن هو آخر أسبوع تقيمه الفرقة العسكرية فى مريتن ، ومن أجل هذا أخذت فتيات الجهة المجاورة تكتئبن بسرعة فائقة . وكانت بنات بنت الكبيرات وحدهن هن اللاتى ظللن يأكلن ويشربن وينمن ويقمن بعملهن كما اعتدن ، وكثيراً ما كانت كتى وليديا اللتان بلغ بهما البؤس غايته تؤنبانهن على قسوة قلوبهن .

وكثيراً ما كانتا تصيحان من فرط ألمهن : « يا الله ! ماذا يكون مصيرنا؟ كيف تستطيعين الابتسام هكذا يالزى » . وكانت أمهن الرقيقة القلب تشاركهما جميع أحزانهما ، فقد كانت تذكر ما قاسته فى ظرف مماثل لظرفهما أثناء شبابها .

وقالت لهما : « وأنا واثقة من أنى ظللت أبكى يومين حينما ارتحلت أسرة الكولونل ملر ، وخيل إلىّ وقتئذ أن قلبى سيتحطم »

وقالت ليديا : « ولست أشك فى أن قلبى أنا سيتحطم » .

وقالت مسز بنت: «ليت فى وسع الإنسان أن يذهب إلى بريتن»

« نعم ولكن أبانا رجل شكس نكد » .

هذه هى الشكايات التى كانت تتردد على الدوام فى بيت لنجبورن. وحاولت إلزبث أن تتخذ منها موضوعاً للهو والتسلية ، ولكن كل

ما كانت تنطوى عليه من مرح قد أضاعه مافيها من عار . وشعرت وقتئذ بعدالة ما وجهه مستر دارسى من انتقاد ، ولم تكن فى وقت من الأوقات أكثر مما هى الآن ميلا إلى الصفح عن تدخله فى أفكار صديقه .

ولكن الظلام الذى كان يكتنف مستقبل ليديا لم يلبث أن تبدد . ذلك أنها تلقت دعوة من مسز فورستر زوجة كبير ضباط الفرقة لأن تصحبها إلى برايتن . وكانت صديقتها هذه شابة فى مقتبل العمر تزوجت من وقت قريب جداً .

وليس فى وسع الإنسان أن يجد ألفاظاً يصف بها سرور ليديا بهذه الدعوة ، أو ابتهاج مسز بنت ، أو غضب كتى وغيرتها . ولم تعر ليديا إحساس أختها أقل عناية ، وأخذت تتنقل مسرعة فى أنحاء المنزل فى انفعال واضطراب ، تستجدى التهنئة من كل إنسان ، وتضحك وتتحدث بعنف لم يكن له مثيل فى حياتها الماضية ، على حين ظلت كتى البائسة تندب سوء حظها .

وكان مما قالته : « لست أدرى لِمَ لم تدعنى مسز فورستر كما دعت ليديا ؟ إن لى من الحق فى أن أدعى مثل ما لها ، بل إن حقى فى هذه الدعوة يفوق حقها ، فأنا أكبر منها بسنتين » .

وحاولت إلزبث أن تردها إلى صوابها كما حاولت حين أن تجعلها تستسلم للقضاء المحتوم ، ولكن محاولاتهما ذهبت أدراج الرياح . أما إلزبث نفسها فقد رأت فى هذه الدعوة الضربة القاضية على كل

أمل فى سلامة ذوق ليديا وحسن إدراكها ، ولم يكن فى وسعها أن تمنع نفسها من أن تشير على أبيها خفية ألا يصرح لأختها بالذهاب ، وإن كان من شأن عمل كهذا إن عرف أن يبغض أختها فيها . ومع ذلك فقد أفهمته أن ليديا إذا وجدت مع رفيقتها هذه ستكون أكثر طيشاً فى بريتن حيث المغريات أقوى بالتأكيد مما هى فى موطنها .

وقالت إلزابث لوالدها : « ولست أشك فى أنك لو علمت بالضرر العظيم الذى لحقنا حتى الآن بعد أن شاهد الناس سلوك ليديا الخالى من الاحتشام لرأيت أن ذهابها ينافى الحكمة والعقل » .

وأعاد والدها قولها : « الذى لحقنا حتى الآن » ، ثم واصل حديثه قائلا : « ماذا حدث ! هل نفرت بعض عشاقك ؟ مسكينة يا لزى الصغيرة ، ولكن لا تكتئبى . إن الفتيات اللاتى لا يتصفن بشىء قليل من السخف غير جديرات بأن يأسف الإنسان عليهن »

لكن إلزبث اعتذرت لأبيها عن صراحتها فى حديثها إليه ، وظلت جادة فى لفت نظره إلى استهتار ابنتيه الصغيرتين فى سلوكهما العام ، وإلى ما يتهددهما من خطر ثباتهما على هذه الأخلاق فى المستقبل . ورأى هو أنها تحدثه فى هذا الموضوع من صميم قلبها ، فأمسك بيدها فى عطف وحنان وأجابها بقوله :

« لا تشغلى بالك بهذا الأمر ياحبيبتى . ما من شك فى أنك أنت وجين تحترمان وتقدران فى كل مكان تعرفان فيه . ولا يمكن أن

يقلل من قدركما أن لكما اثنتين — وقد أقول ثلاثاً — من الأخوات السخيفات القاصرات العقل ، وإذا لم تذهب ليديا إلى بريتن فلن يسود السلام هذا المنزل . دعيها تذهب إذن ؛ فالكولونل فورستر رجل عاقل ، وسينأى بها عن طريق الشر الحقيق . ومن حسن الحظ أنها قد بلغت من الفقر درجة تنأى بها عن أن تكون مطمعاً لأى إنسان . وستكون فى بريتن أقل شأناً مما هى فى هذا المكان ، فلنرج إذن أن تتعلم التواضع من وجودها هناك » .

واضطرت إلزبث على الرغم منها أن تقنع بهذا الجواب .

الفصل الخامس والثلاثون

وحان الوقت الذى ترى فيه إلزبث مستر وكهام آخر مرة . ولما كانت قد رافقته كثيراً بعد عودتها إلى بيتها ، فقد أصبح وجودها معه أمراً مألوفاً لها ، وكان اهتمامها به قد زال ، ولم يبق منه شيء ؛ هذا إلى أن سلوكه معها فى ذلك الوقت كان سبباً جديداً من أسباب سخطها . ذلك أنّ ما كان يظهره من الميل إلى تجديد عنايته بها بعد أن رحلت الآنسة كنج ، قد دلها على أنه يرى فيها من الغرو روالبله ما يجعلها تغتبط بالالتفات الذى يوجهه إليها فى أى وقت يختاره هو للتفضل به عليها .

وتعشى وكهام فى لنجبورن مع بعض الضباط فى آخر يوم من مقام الفرقة العسكرية هناك . وكانت إلزبث قليلة الرغبة فى أن يفترقا وهما على وئام ؛ ومن أجل ذلك ذكرت له أن الكولونل فتزوليم ومستر دارسى قد أقاما فى روزنجس ثلاثة أسابيع ، وسألته هل يعرف أول الرجلين .

وظهرت عليه أمارات الدهشة والكآبة والارتياع ، ولكنه سيطر على حواسه وأجابها من فوره أنه كثيراً ما رآه من قبل ، وسألها عن مقدار حبها إياه . وأجابت بحماسة أنها تحبه ، وزادت على ذلك أنها ، بعد أن عرفت مستر دارسى أكثر مما كانت تعرفه ،

فهمته هى أيضاً وأحبته أكثر مما كانت تفهمه وتحبه .

وظهر وقتئذ ارتياع وكهام فى احمراء لونه واضطراب منظره ، ولم يجرؤ على أن يقول أكثر مما قال كثيرا ، ولكن بدأ منه رغم تظاهره بالبشاشة أنه يسره الآن أن يغادر هذه الناحية .

ولما تفرق الجمع عادت ليديا مع مسز فورستر إلى مريتن ؛ وكان من المتفق عليه أن يبدأا سفرهما من هذا المكان فى الصباح الباكر من اليوم الثانى . وكان افتراقها من أسرتها يصحبه من الضوضاء أكثر مما يصحبه من العطف والحنان . ولم يذرف الدمع أحد من أفراد الأسرة إلا كتى ، وكانت دموعها دموع الحسرة والحسد ؛ وبلغ سرور ليديا الصاخب وهى تودع أسرتها مبلغاً جعل وداع أخواتها الرقيق الهادئ لا يستمع له أحد .

الفصل السادس والثلاثون

لم يكن زواج مستر بنت زواجا موفقا ، فقد وقع أسير الشباب والجمال وما يخلعانه عادة على من يتصف بهما من ظرف وفكاهة . وتزوج امرأة قضى ضعف ذكائها وضيق عقلها من أول الأمر على كل ما كان لها فى قلبه من حب حقيق ؛ وزال بفضلهما كل أثر للاحترام والثقة زوالا لارجعة له ، وخسر بذلك كل ما كان يرجوه من سعادة منزلية . ولكنه كان مولعا بالريف وبالكتب ، وكان جهل زوجته وسخف عقلها مبعث سرور وتسلية له .

على أن إلزبث لم يفتها قط ما كان فى سلوك والدها من شذوذ لا يليق بالأزواج . وكانت تنظر إليه على الدوام وهى متألمة ، ولكنها كانت تجل مواهبه وتحمد له عطفه عليها وحسن معاملته لها ، ولذلك حاولت أن تنسى ما لم تجد سبيلا إلى الإغضاء عنه . ولكنها لم تكن فى وقت من الأوقات أقوى شعوراً مما هى الآن بالخطر الذى لا بد أن يتعرض له أبناء مثل هذا الزواج غير الموفق .

ووعدت ليديا وقت رحيلها أن تكتب إلى أمها وإلى كتى رسائل كثيرة مفصلة ، غير أن رسائلها مع ذلك كانت لا تصل إليهما إلا بعد انتظار طويل ، وكانت جد قصيرة على الدوام . فأما رسائلها إلى أمها فلم تكن تحتوى إلا أتفه الأخبار ، وأما رسائلها إلى كتى

فقد كانت على قصرها تحتوى كثيراً من الأسرار ، تطلب قراءتها إلى سائر أفراد الأسرة .

وما من شك فى أن الحياة فى مريتن أصبحت أكثر كآبة بسبب رحيل الفرقة العسكرية ؛ وأخذت إلزبث تترقب رحلتها إلى الشمال مع خالها وزوجته ؛ وكان موعدها يقترب فى كل يوم ، ولذلك كانت خيبة آمالها شديدة حين علمت أن أعمال خالها تحول بينه وبين البعد عن لندن الزمن الطويل الذى كان يرجوه . واضطرت الأسرة أن تقتطع من الرحلة زيارة البحيرات ، وأن تستعيض عنها برحلة أقصر كثيراً مما كان مقرراً من قبل . وأصبحت الرحلة حسب المشروع الجديد لا تبتعد شمالا عن دربى شير ، حيث كانت ترجو مسز جاردنر أن تعود إلى زيارة البلدة التى قضت فيها أوائل حياتها .

وكان ذكر دربى شير يثير كثيراً من الأفكار ، ولم يكن فى وسع إلزبث أن تسمع هذا اللفظ دون أن تفكر فى بمبرلى وفى مالكه .

الفصل السابع والثلاثون

وأخيراً انتهت فترة الانتظار وظهر مستر جاردنر وزوجته وأطفالهما الأربعة فى لنجبورن . وكان المتفق عليه أن يبقى الأطفال الأربعة — وهم بنتان إحداهما فى السادسة من عمرها والأخرى فى الثامنة وولدان أصغر منهما — أن يبقى هؤلاء الأبناء تحت رعاية ابنة عمتهم چين وهى أحب إخوانها لهم . وكان لهامن ثبات العقل وحلاوة الطبع ما يؤهلها للعناية بهم من جميع الوجوه — تعلمهم وتلعب معهم وتحبهم .

ولم يقم مستر جاردنر وزوجته فى لنجبورن إلا ليلة واحدة ثم بدأا مع إلزبث رحلتهما فى صباح اليوم الثانى ، وهما واثقان من متعة واحدة على الأقل ألا وهى الرفقة الطيبة .

وزاروا فى هذه الرحلة أماكن كثيرة ، ثم ولوا وجوههم آخر الأمر نحو بلدة لامتن الصغيرة من أعمال مدربى شير موطن مسز جاردنر السابق ، وذلك بعد أن شاهدوا جميع ما فى الريف من العجائب الشهيرة . وعرفت إلزبث من زوجة خالها أن بمبرلى لا تبعد عن لامتن أكثر من خمسة أميال ؛ ولما أخذت مسز جاردنر تتحدث عن مشروعاتهم أظهرت ميلها لزيارة هذا المكان مرة أخرى . وأعلن مستر جاردنر رضاءه عن هذه الزيارة ، وسئلت ابنة أخته هل يوافق عليها ؟

واكتأبت إلزبث لأنها شعرت أن لا شأن لها بذاك المكان . على أنها ادعت أنها قد ملت رؤية البيوت العظيمة ، وظنت مسز جاردنر أن هذه سخافة منها ، وتحيرت إلزبث فى أمرها ، فلم تدر ماتفعل . ذلك أن احتمال مقابلتها مستر دارسى أثناء زيارتها لهذا المكان كان مما تخشاه أشد خشية . وأحمر وجهها من مجرد التفكير فى هذا اللقاء . على أنها استطاعت أن تعرف من خادم فى النزل الذى كانوا فيه أن مالك الضيعة غائب عنها ، فلما أن أعيد ذكر الموضوع فى صباح اليوم الثانى وافقت من فورها على الزيارة ، لأن مابدا عليها قبل ذلك من الارتباك قد تبدل الآن تطلعاً وتشوفا .

وكان عقل إلزبث والعربة تسير بهم غاصاً بالأفكار ، فحال ذلك بينها وبين الحديث ، ولكنها كانت تشاهد كل بقعة مشهورة وتعجب بها . وكان البستان فسيحاً واسع الأرجاء ، واخترقوا فى طريقهم غابة جميلة تغطى أرضاً واسعة ، وكان بيت بمبرلى بيتا فسيحا جميل البناء ، يقوم على أرض مرتفعة ، وأمامه مجرى طبيعى ذو شأن وسّع من غير أن يرى فيه أثر ليد الإنسان . وسرت إلزبث بهذا كله لأنها لم ترمن قبل مكانا خلعت عليه الطبيعة كل هذا الرواء ، واحتفظ بجماله الطبيعى فلم يتلفه الذوق الفاسد . وكان خالها وزوجته شديدى الإعجاب بالمكان ، وشعرت فى هذه الساعة أنها لا تستنكف أن تكون سيدة بمبرلى !

ولما طلبوا أن يروا المكان سمح لهم بدخول الردهة . وجاءت

مديرة المنزل — وهى سيدة كبيرة السن وقورة — وأطلعتهم على الحجر المهمة فيه . وكانت كل نافذة تطل على أنواع من الجمال ، وكانت الحجرات نفسها عالية جميلة ومؤثثة تأثيثا يدل على حسن الذوق .

وقالت فى نفسها : «وهذا المكان هو الذى كان من الجائز أن أصبح سيدته ؛ وبدل أن أشاهده الآن مشاهدة الزائرين كنت فى هذه الحال أرحب بخالى وزوجته ضيفين عندى» . ثم تذكرت قول دارسى فواصلت حديثها لنفسها : « ولكنى مخطئة فإنى لم يكن لى فى هذه الحال أن أدعو إليه أقاربى » .

وكانت هذه ذكرى موفقة — فقد أنجتها مما يشبه الندم .

وتاقت لأن تسأل مديرة المنزل هل صاحبه متغيب حقاً ، وأخيراً سأل خالها هذا السؤال ، وأشاحت بوجهها وهى منزعجة حين سمعت الجواب : « إنا ننتظر مجيئه غداً مع جماعة كبيرة من أصدقائه » .

وطلبت إليها زوجة خالها فى هذا الوقت أن تنظر إلى إحدى الصور ، وسألتها وهى تبتسم عن مبلغ حبها إياها ، وكانت صورة وكهام . وذكرت مديرة المنزل اسمه وأتبعته بقولها : « وقد ذهب لينضم إلى الجيش ولكنه مع الأسف قد أصبح شرساً جداً » .

ونظرت مسز جاردنر إلى قريبتها وهى تبتسم ، ولكن إليزبث لم يكن فى وسعها أن ترد على هذه الابتسامة بمثلها .

ثم نظروا إلى صورتين تمثلان مستر دارسى وأخته ، وسأل مستر جاردنر قائلا : « وهل يعادل جمال الآنسة دارسى جمال أخيها ؟ » .

فأجابت مديرة المنزل : « نعم ، فهى أجمل شابة رآها الناس ، وهى مهذبة أحسن تهذيب ! فهى تعزف وتغنى طول النهار ، وفى الحجرة الثانية آلة موسيقية جديدة أحضرت لها تواً — وهى مهداة من سيدى . وستأتى معه إلى هنا غداً » .

« وهل يقيم سيدك كثيراً من أيام السنة فى بمبرلى ؟ » .

« إنه لا يقيم فيه بالكثرة التى أرغب فيها . أما الآنسة دارسى فتأتى إليه على الدوام لتقضى فيه أشهر الصيف » .

وقالت إلزبث فى نفسها : « إلا إذا سافرت إلى رمز جيت » .

« ولو تزوج سيدك لرأيته أكثر مما ترينه الآن » .

« نعم يا سيدى ، ولكنى لست أعرف أية فتاة تصلح له » .

وتبسم مستر جاردنر وزوجته .

« إنى لا أقول غير الحق . إنى لم أسمع منه كلمة غضب واحدة فى حياتى مع أنى أعرفه مذ كان فى الرابعة من عمره » .

وأثار هذا الحديث التفات إلزبث الشديد . لقد كان هذا هو أعجب ما سمعت من مديح ، وهو يناقض آراءها أشد المناقضة .

« وهو خير الأسياد وخير المُلَّاك الذين وجدوا على ظهر الأرض . إن بعض الناس يصفونه بالكبرياء ، ولكنى لم أر من كبريائه شيئاً » .

وابتهج مستر جاردنر أعظم ابتهاج حين استمرت مديرة المنزل

تعدد صفات سيدها الطيبة ، واعتقد أن ثناءها العظيم عليه ليس إلا نتيجة ميلها إلى أسرته » .

وهمست مسز جاردنر فى أذن إلزبث قائلة : « إن هذا الوصف الجميل لا يتفق ومسلكه مع صديقتنا المسكينة » .

وتمتمت إلزبث قائلة : « إنهما ربما كانتا مخدوعتين » .

« هذا أمر بعيد الاحتمال ، فإن المصدر الذى استقينا منه معلوماتنا مصدر موثوق به » .

ثم أدخلوا حجرة استقبال صغيرة جميلة جُدِّد أثاثها من وقت قريب ، وقيل لهم إن هذا التجديد إنما عمل لتسر به الآنسة دارسى ، فقد أظهرت حبها لهذه الحجرة فى آخر زيارتها لبيمبرلى

وقالت مديرة المنزل : « وهذه هى طريقته على الدوام ، ما من شىء يسر أخته إلا فعله من فوره » .

وقالت إلزبث : « إنه أخ طيب بلا ريب » .

ولا ريب فى أنها كانت فى تلك اللحظة تحس نحوه إحساساً أرق مما أحست به حين بلغت معرفتها إياه غايتها . لقد كانت كل فكرة تنطق بها مديرة المنزل ثناء على خلقه ، ولما نظرت إلى صورته مرة أخرى ، فكرت فى حسن ظنه بها ، وأثار هذا التفكير فيها شعوراً بالشكر له أقوى مما أثاره فى أى وقت مضى .

الفصل الثامن والثلاثون

ولما فرغوا من مشاهدة المنزل خرجوا للإعجاب بالجنائن بإرشاد البستانى . وبيناهم سائرون نحو النهر التفتت إلزبث وراءها لتلقى على البيت نظرة أخرى ، فأبصرت صاحبه يظهر فجأة من الطريق المار خلفه .

ولم يكن بينهما أكثر من خمسين ياردة ، وكان ظهوره على حين غفلة منها فلم يكن فى وسعها أن تتحاشى رؤيته . والتقت أعينهما ، وعلت خدودها حمرة قانئة ، وفزع هو أشد الفزع ، وظل برهة من الزمان وكأنه قد عجز عن الحركة لشدة دهشته ، لكنه سرعان ما تملك حواسه ، وتقدم نحو الجماعة ، وتحدث إلى إلزبث حديثا ، كان على الأقل غاية فى الأدب ، وإن لم يكن هادئا كل الهدوء .

وكانت حين أبصرته قد ولت وجهها عنه ، فلما رأته يقترب وقفت وتلقت تحياته لها وهى مرتبكة ارتباكا لم يكن فى وسعها أن تتغلب عليه . ووقف مستر جاردنر وزوجته على بعد قليل بينما كان دارسى يتحدث إلى إلزبث . ولم تجرؤ لدهشتها وارتباكها أن ترفع عينيها إلى وجهه ، ولم تدر ما أجابت به عن أسئلته المؤدبة عن أسرتها . واستولت عليها الدهشة لما طرأ على أخلاقه من تبدل بعد أن افترقا ، ولهذا رأت أن كل عبارة ينطق بها تزيد من حيرتها .

ومر بعقلها ما فى وجودها فى ذلك المكان من خرق وعدم لياقة ، فكانت الدقائق القليلة التى وجدت فيها معه أصعب ما مر عليها من الأوقات فى حياتها وأشدها مضايقة لها . ولم يكن هو نفسه بأحسن حالا منها ، ذلك أنه لما تحدث إليها لم يكن فى صوته ذلك الهدوء المألوف ، وكان يكرر بعض أسئلته أكثر من مرة .

وأخيراً بدا وكأنه قد نفد كل ما عنده من أفكار ، فوقف بضع دقائق ، لا ينطق فيها بكلمة ، ثم استأذن منها أن ينصرف . وانضم إليها بعدئذ سائر الجماعة ، وغلب عليها الخجل والضجر . لقد كانت فكرة مجيئها إلى ذلك المكان أشأم الأفكار وأكثرها سفها ! ففى أية صورة شائنة مذلة سيبدو مجيئها هذا لعقل هذا الرجل المتكبر المغرور ؟ لقد يبدو له أنها ألقت بنفسها مرة أخرى فى طريقه . رباه ! لم جاءت إلى ذاك المكان ؟ أو لِمَ عجل هو بالمجىء قبل اليوم الذى كان ينتظر فيه قدومه بيوم ؟ ولم تغير سلوكه هذا التغير العجيب ؟ ما معنى هذا كله ؟ إن مجرد حديثه لها كان غاية فى الغرابة ! فما بالك إذا تحدث إليها بمثل ما تحدث من الأدب وسألها عن أسرتها ! إنها لم تره فى حياتها كلها أكثر ظرفا مما رأته فى هذا اليوم ، والحق أنها قد تحيرت فلم تعرف ماذا تظن .

وشرعوا الآن يسيرون فى طريق جميل بجانب الماء ، ولكن مضى بعض الوقت قبل أن تستطيع إليزبث أن توجه إليه أى التفات ، وإن كانت قد أجابت على ملاحظات رفيقيها إجابات آلية ، فقد

كانت تتوق إلى معرفة ما كان يدور فى عقل مستر دارسى ، وهل لا تزال عزيزة عليه بالرغم من كل ما حدث منها ؟

وبعد أن جالوا فى المكان بعض الوقت فى خطا وئيدة ، لأن التعب أخذ يحل بمسز جاردنر التى لم تكن تطيق المشى الكثير ، فوجئوا مرة أخرى برؤية مستر دارسى يقترب منهم . ونظرت إليه إلزبث نظرة خاطفة ، فأدركت أنه لم يفقد شيئاً من أدبه الذى ظهر به توا ، وأرادت أن تقلده فى هذا فأخذت تبدى إعجابها بالمكان ، ولكنها لم تكن تعبر عن هذا الإعجاب بغير لفظ « ساحر » . وبينما هى كذلك إذ خطرت ببالها فكرة مشئومة أذكرتها أن ثناءها على بمبزلى قد يساء فهمه ، ثم امتقع لونها ولم تنطق بكلمة أخرى .

ولما سكتت سألها هل تتفضل بتقديمه إلى صديقيها . وأخذت فى هذا على غرة ، وقالت فى نفسها : « ماذا عسى أن تبلغ دهشته حين يعرف حقيقة أمرهما ؟ إنه يظنهما الآن من الطبقة الراقية » . لكنها مع ذلك قدمته لهما على الفور ، ولما ذكرت له قرابتهما إليها نظرت إليه خلسة لترى أثر ذلك فيه . واتضح لها أنه دهش ، ولكنه بدل أن يغادر المكان ذهب إليهما وأخذ يتحدث إلى مستر جاردنر . ولم يسع إلزبث إلا أن تغتبط بمسلكه هذا ، فقد كان يريح بالها أن يعرف أن لها أقارب ليس ثمة ما يوجب عليها أن تخجل منهم . وأصغت إلى حديثه معهما بعناية ، وسرتها كل عبارة منه وكل جملة نطق بها خالها تدل على شدة ذكائه ورقة ذوقه وحسن أدبه .

وسرعان ما انتقل الحديث إلى صيد السمك ، وسمعت مستر دارسى يدعوه فى أدب جم إلى الصيد فى ذلك المكان كلما شاء . وكانت مسز جاردنر وقتئذ تسير متأبطة ذراع إلزبث ، فنظرت إليها نظرة عبرت فيها عن دهشتها ؛ ولم تقل إلزبث شيئاً ، ولكن هذه الدعوة أرضتها غاية الرضا ، ذلك أن التحية كانت كلها من غير شك موجهة لها هى .

وبعد قليل من الوقت تعبت مسز جاردنر من رياضة الصباح ، فلم تجد فى ذراع إلزبث عونا كافيا لها ، ولذلك فضلت عنها ذراع زوجها ، وحل مستر دارسى محلها بجانب إلزبث . وبعد صمت قصير تكلمت هى أولا فقالت له إنها تحب أن يعرف أنهم أكدوا لها قبل مجيئها إلى هذا المكان أنه غائب عنه ، واعترف هو بأنه عجل بالعودة لبعض شئونه ، ثم أضاف إلى هذا قوله : « إن بقية الجماعة الذين كانوا معى سيأتون إلى هنا غدا ، ومنهم من يدعون بأنهم يعرفونك — مستر بنجلى وأختاه » .

ولم تجب إلزبث بأكثر من انحناءة خفيفة .

وبعد صمت قليل واصل حديثه قائلا : « ومنهم إنسان شديد الرغبة فى التعرف بك ، فهل تسمحين لى بأن أقدم لك أختى ، أو هل تظنين أنى بهذا الطلب قد عدوت طورى ؟ »

وكانت دهشتها من هذا الطلب عظيمة حقا . لقد بلغت هذه الدهشة حدا لم تدر معه كيف وافقت عليه ؟

ثم سارا بعدئذ صامتين . ولم تكن إلزبث مطمئنة النفس ، فقد كان اطمئنانها فى مثل هذا الموقف أمراً مستحيلا . ولكن طلبه هذا كان فيه إطراء لها يسرها .

ولما لحق بهما مستر جاردنر وزوجته عند الدار ألح عليهم جميعاً أن يدخلوها ويتناولوا بعض المرطبات ، ولكنهم اعتذروا عن عدم قبول الدعوة ، وساعد مستر دارسى السيدتين على ركوب العربة ، ولما انطلقت بمن فيها شاهدته إلزبث يسير على مهل نحو البيت .

وأخذ خالها وزوجته يتحدثان عن الأثر الطيب الذى تركه فيهما ، وأخذ ايلومانها بقولهما : « بأى حق قلت لنا إنه شخص فظ ؟ »

وقدمت إلزبث من الأعذار أحسن ما كانت تستطيع تقديمه .

ثم رأت من واجبها أن تقول لهما — بأكثر ماتستطيع من التحفظ والحرص — إنها تعتقد أنها لم تكن على حق فى ظنها أنه أخطأ فى معاملة وكهام . ودهشت مسز جاردنر من هذا القول ؟ ولكنهم كانوا وقتئذ يقتربون من الأماكن التى قضت فيها عهد شبابها ، فكان اهتمامها كله موجها إلى مافى الذكريات القديمة ، ومافى لقاء الأصدقاء القدامى بعد غياب كثير من السنين ، من مسرات ومتع . ولهذا أمنت إلزبث من الأسئلة المربكة ، وكان فى وسعها ان تجعل شغلها الشاغل أفكارها هى نفسها .

الفصل التاسع والثلاثون

وجاء مستر دارسى بأخته لزيارة إلزبث بعد ساعات قليلة من قدوم أخته إليه فى اليوم الثانى . ودهش جاردنر وزوجته أشد دهشة ، ولاحت لهما فكرة جديدة فى هذا الموضوع .

ورأت إلزبث وهى مندهشة أن صاحبتها الجديدة لم تبلغ من الكبرياء غايته كما كان يصلها عنها ، وأن كل ما كانت تتصف به هو الحياء الشديد . وكانت تلوح على وجهها علائم التعقل والفكاهة العذبة ، وكانت آدابها راقية إلى أقصى حد .

ولم يمض على وجودهما إلا قليل من الوقت حتى جاء بنجلى أيضا لزيارة إلزبث . ولم تر تغيرا فى أخلاقه ، فقد كان ينظر إليها ويتحدث معها فى سهولة حديث الصداقة ، ولم يكن فى نظر مستر جاردنر وزوجته أقل لطفا فى نظرها هى . لقد كانا يتطلعان إلى رؤيته من زمن بعيد ، والحق أن الجماعة التى كانت أمامهما قد أثارت كلها اهتمامهما الشديد ، فقد كانا يعنيان بملاحظة مستر دارسى وإلزبث ، وظلا يخالجهما بعض الشك فى عواطفها نحوه ، ولكن إعجاب دارسى العظيم بها كان يبدو لهما واضحا كل الوضوح .

أما إلزبث فكان يشغلها الشىء الكثير . لقد كانت ترغب فى أن تبدو لزائريها لطيفة ظريفة ؛ وكانت تراقب بعينيها مستر بنجلى

والآنسة دارسى ، وهى التى كان يراد أن تحل عنده محل چين ؛ ولم تر فى سلوكه أو سلوكها مايبرر أقوال الآنسة بنجلى . وانتهز بنجلى فرصة اشتغال الجماعة بالحديث ، فقال لإلزبث بصوت يسمعه فيه أسفه الحق إنهما لم يلتقيا من ثمانية أشهر أى من يوم حفلة نذرفيلد الراقصة ، وسر إلزبث أنه كان قوى الذاكرة إلى هذا الحد . وانتهز بعد ذلك فرصة أخرى فسألها على حدة هل أخواتها كلهن فى لنجبورن ؟ ولم يكن فى السؤال شىء غير عادى ، ولكن نظراته وهيئته أكسبته معنى لم يكن له .

ولم يكن فى استطاعتها أن توجه نظراتها كثيرا إلى مستر دارسى نفسه ، ولكنها كلما استطاعت أن تلقى نظرة خاطفة عليه ، رأته يبذل غاية جهده ليكسب حسن ظن خالها وزوجته به . ولما انتهت الزيارة دعوا جميعاً للعشاء فى بمبرلى بعد يومين من ذلك الوقت .

الفصل الأربعون

واستقر رأى إلزبث وزوجة خالها على أن ما أظهرته الآنسة دارسى من المجاملة العظيمة بزيارتها لهما يوم وصولها بالذات يجب أن يحتذى ، وإن كان من المستحيل عليهما أن يبلغا من المجاملة ما بلغته هى . ولهذا اعتزما أن يزوراها فى بمبرلى فى صباح اليوم الثانى . وسرت إلزبث من هذا ، وإن كانت حين سألت نفسها عن سبب هذا السرور لم تجد إلا القليل الذى كان فى وسعها أن تجيب به عن هذا السؤال .

ولما وصلتا إلى الدار استقبلتهما الآنسة دارسى ، وكانت وقتئذ جالسة مع مسز هرست والآنسة بنجلى والسيدة التى كانت تقيم معها فى لندن . وكان استقبال چورچيانا لهما يغلب عليه الحياء الشديد ، وكان من شأنه أن يطبعه خطأ بطابع الكبرياء ، لولا أن مسز جاردنر وقريبتها لم تظلماها ورثتا لحالها .

ولم تستقبلهما مسز هرست والآنسة بنجلى بأكثر من انحناءة ، ولما جلستا أعقبت ذلك الجلوس فترة من الصمت ثقيلة مملة ، قطعتها أولا رفيقة للآنسة دارسى ، وهى سيدة مهذبة أخذت تتحدث إلى مسز جاردنر حديثاً شاركتهما فيه إلزبث من حين إلى حين . وظهر على الآنسة دارسى كأنها ترغب فى أن يكون لها من الشجاعة ما يكفى للاشتراك فى هذا الحديث .

وسرعان ما رأت إلزبث أن عيني الآنسة بنجلي ترقبان كل حركاتها وسكناتها . وبعد أن مضى ربع ساعة من بدء الزيارة سألتها الآنسة بنجلي في فتور عن صحة أسرتها ، وأجابتها إلزبث جواباً لا يقل عن سؤالها فتوراً .

ثم دخل بعض الخدم يحملون اللحم البارد والفطائر وطائفة مختلفة من أحسن فاكهة ذلك الفصل ؛ وبعد وقت قصير أقبل مستر دارسي بعد أن قضى بعض الوقت في صيد السمك مع مستر جاردنر .

وهدت إلزبث حكمتها إلى أن تعتزم الظهور هادئة غير مرتبكة على الإطلاق ، وبخاصة حين أدركت أن الجماعة كلها قد أخذت ترتاب في سلوكها . ولم يظهر الالتفات والاستطلاع قويين في وجه أحد من الحاضرين كما ظهر في وجه الآنسة بنجلي ، على الرغم مما علاه من بسمات حين كانت تتوجه بالحديث إلى أحدهما ، وذلك لأن الغيرة لم تكن قد غلبتها على أمرها ، ولأنها كانت لا تزال تأمل في كسب قلب مستر دارسي . على أنها في لحظة من لحظات الثورة الذي دفعها إليه الغضب بادرت إلى سؤال إلزبث في أدب يشوبه الاستخفاف :

« خبريني من فضلك يا آنسة إليزا ، ألم تبرح الفرقة العسكرية مريتن ؟ لقد كان في سفرها خسارة عظيمة لأسرتك من غير شك »

وأجابت إلزبث بنغمة فيها غير قليل من الهدوء ، ولاحظت

وهى تتحدث أن دارسى قد امتقع لونه كثيراً ، وأن أخته غلب عليها الارتباك . أما الآنسة بنجلى فقلما كانت تعرف مقدار ما سببته لصديقها من الألم ، بل كان كل ماترمى إليه هو أن تبعث الاضطراب فى نفس إلزبث ، وتحملها على أن تظهر من الشعور ما يحقرها فى عين مستر دارسى .

على أن سيطرة إلزبث على نفسها سرعان ما هدأت من عواطفه . ولما كانت الآنسة بنجلى فى غضبها وخيبة آمالها لم تجرؤ على أن تقترب من موضوع مستر وكهام أكثر مما اقتربت منه قبل ، فإن جورجيانا هى الأخرى استعادت هدوءها بعد قليل .

ولم تطل الزيارة بعد هذه الحادثة كثيراً ، ولما عاد مستر دارسى بعد أن أوصل الزائرين إلى عربتهم أخذت الآنسة بنجلى تشغل نفسها بانتقاد مظهر إلزبث ومسلكها وملبسها .

وصاحت قائلة : « ما كان أقبح منظر إليزا بنت فى صباح اليوم! إنى لم أر فى حياتى شيئاً تبدل كما تبدلت هى بعد فصل الشتاء . لقد اسمر لونها كثيراً وغلبت عليها خشونة الطبع ؛ ولو أنى سئلت عنها لما وجدت بداً من الاعتراف بأنى لا أستطيع أن أرى فيها جمالا البتة . فأما معارفها فليست جميلة قط ، وأما عيناها فإن لهما نظرات حادة » .

ولم تكن هذه هى خير وسيلة تستطيع بها الآنسة بنجلى أن تحبب نفسها إلى مستر دارسى ، وهى التى كانت مقتنعة بأنه كان

يعجب بالزبث . فقد بدا عليه الغضب وإن كان قد ظل صامتاً ، وأجمعت رأيها هى على أن تنطقه فواصلت حديثها قائلة :

« أذكر كيف قلت أنت فى ليلة من الليالى بعد أن عرفناها أول الأمر فى هرتفوردشير وبعد أن تعشوا فى نذرفيلد ، أذكر كيف قلت : أهذه جميلة ! لو كانت ذات جمال لكان من حق أن أقول إن أمها ذات فكاهة ! : ولكنى أعتقد أنك ظننتها على شىء من الجمال فيما بعد » .

ولم يستطع مستر دارسى أن يتغلب على عواطفه أكثر مما تغلب عليها ، فرد عليها بقوله : « نعم ، إنى كنت من عدة شهور ولا زلت حتى الآن أعدها من أجمل من عرفت من النساء » .

وفى هذا الوقت كانت مسز جاردنر والزبث تتحدثان وهما عائدتان عن كل ما حدث فى أثناء زيارتهما ، اللهم إلا عما كان يهم كليهما بنوع خاص ، وعمن كان يشغل بالهما أكثر مما كان يشغله أى إنسان آخر . لقد تحدثتا عن أخته ، وعن أصدقائه ، وعن بيته ، وعن فاكهته ، وعن كل شىء إلا عنه هو نفسه ! ولكن الزبث كانت تتوق إلى أن تعرف رأى مسز جاردنر فيه ، وكان يُرضى مسز جاردنر غاية الرضا أن تفتتح الزبث الحديث فى هذا الموضوع .

الفصل الحادى والأربعون

وساء إلزبث كثيرا أن چين لم تكتب لها ساعة أن وصلت هى ومن معها إلى لامتن ؛ وتجدد استياؤها فى كل يوم من اليومين اللذين قضتهما هناك ، ولكنها ذهب عنها قلقها فى اليوم الثالث حين تلقت رسالتين من چين فى وقت واحد ، أرسلت أولاهما إلى مكان غير المرسلة إليه لأن عنوانها لم يكن واضحا .

وسار خالها وزوجته يتنزهان وتركاها لتمتع نفسها بقراءة الرسالتين وهى هادئة . وكانت أولاهما قد كتبت من خمسة أيام قبل وصولها ، وحوت فى بدايتها وصفا للحفلات الصغيرة والمواعيد وطائفة أخرى من الأخبار المحلية التافهة ، ولكن آخرها — وقد كتب بعد أولها بيوم وكتب بطريقة تدل دلالة واضحة على اضطراب عقلها — حوى أخبارا أكثر خطرا من أولها ، وها هوذا نصه .

« حدث يالزى ياأعز الأخوات بعد كتابة ماتقدم حادث خطير لم يكن متوقعا قط . إن الذى سأحدثك عنه أمر خاص بليديا المسكينة ، فقد وصل إلى يدى بالبريد العاجل فى الليلة الماضية ، بعيد أن آوينا إلى مضاجعنا ، خطاب من الكولونل فورستر يبلغنا فيه أنها سافرت إلى اسكتلندة مع ضابط من ضباط فرقته هو فى الحقيقة وكهام ! تصورى أنت دهشتنا . أما كتى فلم يبد لها هذا أمرا غير متوقع قط ،

وقد أحزنني هذا وأمض قلبي ، ألا ما أبعد هذا الزواج عن الحكمة من كانا الناحيتين ! لقد فرّا مساء يوم السبت حوالى الساعة الثانية عشرة ، ولكن فرارهما لم يعرف خبره إلا صباح أمس . والآن لابد لى من أن أختم هذه الرسالة ، لأنى لا أستطيع الابتعاد طويلا عن أمى المسكينة التى آلم قلبها الحزن وأكسف بالها . وأخشى أنك لن تستطيعى فهم هذا الخطاب ، ولكنى يصعب علىّ أن أعرف ماذا كتبت » .

ولم تترك إلزبث لنفسها وقتا تفكر فيه ، بل إنها لم تكد تفرغ من قراءة الخطاب الأول حتى أمسكت بالخطاب الثانى ، وفضته وهى قلقة فارغة الصبر ، وقرأت فيه ما يأتى :

« لقد وصلتك قبل هذا يا أعز أخواتى رسالتى التى كتبتها على عجل . وأرجو أن تكون هذه أوضح من سابقتها ، ولكن عقلى قد بلغ من الاضطراب حدا لا أستطيع معه أن أتحمل تبعه مافيها من غموض . إن لك عندى ياعزيزتى لزى أخبارا سيئة ، وهى أخبار لا أستطيع أن أؤجل الإفضاء بها إليك . ذلك أنه مهما خلا زواج مستر وكهام وأختنا المسكينة ليديا من الحكمة ، فإننا الآن نرغب رغبة شديدة فى أن نتأكد أن هذا الزواج قد تم فعلا . لقد تركت ليديا مذكرة قصيرة إلى مسز فورستر أشارت فيها إلى أنهما سيذهبان إلى جرتناجرين (١) ؛ ولكن دنى نطق بعبارة تنم عن اعتقاده بأن وكهام

(١) قرية فى اسكتلندة قريبة جداً من الحد الفاصل بينها وبين إنجلترا ، ولما كانت القوانين الاسكتلندية أسهل من القوانين الإنجليزية فى مسائل الزواج فإن المحبين الفارين كثيراً مايذهبان إليها ليتم زواجهما على الفور ومن غير إجراءات شكلية

لا يريد قط أن يذهب إلى ذلك المكان ولا أن يتزوج قط بليديا . وقد أعيد هذا القول على مسامع الكولونل فورستر فارتاع له من فوره وسار وراءهما ، واستطاع أن يقتفى أثرهما ، ولكنه لم يستطع أن يواصل عمله هذا إلى أبعد من لندن حيث اختفيا . وبعد أن بحث عنهما بكل وسيلة مستطاعة حمله قلبه الطيب على العودة إلى لنجبورن وإبلاغنا الخبر . إن مصيبتنا ياعزيزتى لزى لعظيمة جداً ، وإن أمى وأبى ليظنان به أسوأ الظنون ، أما أنا فلا أسيء به الظن إلى هذا الحد ، ولعل هناك سبباً يدعوهما إلى أن يتزوجا سراً فى المدينة . إن أمى المسكينة مريضة بحق ، أما أبى فإنى لم أره فى حياتى متأثراً كما هو الآن ، وقد صب أبوانا جام غضبهما على كتى المسكينة لأنها أخفت عنهما صلة وكهام بأختها ، ولكن المسألة مسألة ثقة ، وليس المرء أن يعجب من فعلها هذا . وإنى ليسرنى حقا ياعزيزتى لزى أنك قد نجوت من رؤية بعض هذه المناظر . والآن وقد ذهبت الصدمة الأولى فهل لى أن أعترف لك بأنى أتوق إلى عودتك ؟ على أنى لست من الأنانية بحيث ألح عليك فى العودة إذا كان هذا عسيرا عليك ، وسيذهب والدنا إلى لندن فى الحال ليحاول العثور على ليديا ، ولكن وقع الكارثة الشديد عليه لن يمكنه من أن يسلك أحسن السبل فى أى نهج ينهجه ؛ ولهذا فإن مشورة خالى ومساعدته فى هذه الظروف سيكون لهما أعظم قيمة .

الفصل الثانى والأربعون

ولما فرغت إلزبث من قراءة الرسالة انتفضت قائمة من مقعدها وصاحت : « آه ! أين خالى ! أين هو؟ » وهى شديدة الرغبة فى تتبعه دون إبطاء . ولكنها حين وصلت الباب فتحة أحد الخدم وظهر أمامها مستر دارسى . وارتاع حين رأى وجهها الشاحب ومسلكها الدال على العجلة ، وقبل أن يذهب عنه روعه إلى حد يستطيع معه الحديث صاحت من فورها : « معذرة ، ولكننى مضطرة إلى أن أتركك ، إذ لا بد لى أن أعثر على مستر جاردنر فى هذه اللحظة ، وذلك لحاجتى إليه فى عمل لا يحتمل التأخير » .

وصاح هو وقد بدا عليه من الشعور أكثر مما بدا من الأدب : « رحماك اللهم ! ماذا حدث ؟ » ، ثم هدأ شعوره وقال : « لن أؤخر ذهابك دقيقة واحدة ؛ ولكن اسمحى لى أو اسمحى للخادم أن يستدعى مستر جاردنر ، فلست بحالة تمكنك من الذهاب ، ولن تستطيعى أنت أن تخرجى إليه » .

وترددت إلزبث ، ولكن ركبتيها كانتا تصطكان من تحتها ، ثم استدعت الخادم وناولته الرسالة . ولما غادر الحجرة جلست خائرة القوى ، وبدا عليها الضعف الشديد حتى لم يستطع دارسى أن يتركها وحدها أو أن يمسك لسانه عن أن يقول لها فى نغمة مشبعة بالرقة

والعطف : « اسمحى لى أن أدعو خادمتك . أليس هناك شىء تشربينه ليسعفك فى هذه الساعة ؟ كقدح من نبيذ ؟ أآتيك بقدح من نبيذ ؟ إنك مريضة جداً » .

وأجابته وهى تريد أن تستعيد هدوءها : « لا ! أشكرك ، إنى بصحة جيدة ؛ وكل ما فى الأمر أنى قد ساءتنى أخبار مروعة جاءتنى من بيتنا » .

وأجهشت بالبكاء وهى تقول هذا ، وظلت بضع دقائق لا تقوى على النطق بكلمة أخرى . ثم واصلت حديثها آخر الأمر قائلة : « لقد تركت أختى الصغرى كل أصدقائها ؛ لقد فرت ، لقد ألقت بنفسها فى أحضان — مستر وكهام ؛ وليس لديها مال ، وليس لديها ما يغريه — لقد فقدناها أبد الدهر » .

وجمد دارسى فى مكانه من فرط دهشته . وقالت هى بعدئذ : « وحين أذكر أننى كان فى وسعى أن أمنع هذا ! أنا التى كنت أعرف حقيقة أمره ؛ ولكن سبق السيف العذل » .

وتمتم دارسى ببعض كلمات تدل على عطفه ، وأجابت إليزبث عن أسئلته بأن قصت عليه ما تعرف من تفاصيل الأمر . وبدا هو وكأنه لا يكاد يسمعها ، وأخذ يذرع الحجرة جيئة وذهابا ، ويفكر تفكيراً عميقا ، وهو مقطب الجبهة ، وعليه أمارات الجد . وفهمت إليزبث لساعتها ما يفكر فيه ، وأخذت قواها تخور بعد أن تبينت ما فى هذا العمل من دليل قاطع على ضعف أخلاق أسرتها ، وما جللها

ذلك العمل من عار ليس بعده عار . ولم يكن فى وسعها وقتئذ أن تدهش أو تلوم ، ولكن هذا الظرف كان بحيث يجعلها تدرك ما فى نفسها من رغبات ، ولم تكن فى يوم من الأيام لتشعر شعوراً صادقا بأنها تستطيع أن تحبه كما شعرت فى تلك الساعة التى كان فيها كل حب له لا يجديها نفعا .

ولكن سرعان ما طغى على متاعبها الخاصة تذكرها أمر ليديا ، فغطت وجهها بمنديل يدها ، وذهب من عقلها كل ما عداه على الفور . وبعد صمت دام بضع دقائق نبهها إلى موقفها صوت رفيقها وهو يقول لها : « أخشى أن يكون هذا الحادث المشئوم سببا فى منع أختى من أن تحظى برؤيتك اليوم فى بمبرلى » .

« أجل ! أرجو أن تتفضل بالاعتذار للآنسة دارسى بالنيابة عنا . وقل لها إن أموراً ذات بال تتطلب عودتنا إلى بيتنا فى الحال ، وأخف عنها حقيقة النبأ أطول وقت مستطاع » .

ووافق من فوره على أن يفعل هـذا ، ثم غادر المكان دون أن يلق عليها إلا نظرة وداع واحدة . وشعرت إليزبث وهو يغادر الحجرة بأنه ليس من المستطاع بعد تلك الساعة أن يتلاقيا مرة أخرى فى جو من الصداقة كالجو الذى كان يسود لقاءهما وقتئذ ، ثم استعادت فى ذاكرتهـا ماضى معرفتهما كله ، وما امتلأ به من متناقضات واختلافات ، وتنهدت حسرة على ما تبدل من عواطفها ، وهى عواطف كان من شأنها فى هذه الساعة أن تشجع ذلك الأمل الذى

كانا يرغبان من قبل فى القضاء عليه .

وإذا كان شكر النعمة والاحترام أساسين قويين للحب ، فإن تبدل عواطف إلزبث لا يعد وقتئذ خاطئاً أو بعيد الاحتمال . ومهما يكن من ذلك الأمر فقد نظرت إليه وهو يغادر المكان وهى آسفة على فراقه ، وضاعف آلامها تفكيرها فى هذه البادرة الأولى مما سوف يجر إليه مسلك أختها ليديا . إنها لم يكن لها أمل فى أن وكهام يقصد بحق أن يتزوج بأختها . ولم تلاحظ هى فى يوم من الأيام حين كانت الفرقة العسكرية فى مريتن أن ليديا تميل إليه ميلا خاصا ، ولكنها لم تكن تشك فى أن ليديا لا تحتاج إلا إلى ما يشجعها على أن تتعلق بأى إنسان ، فقد كانت تصطفى لنفسها هذا الضابط تارة وذاك تارة أخرى ؛ ومع أنها لم تكن تظن أن ليديا فرت عامدة وهى لاتنتوى الزواج ، فإنها كانت تعتقد رغم هذا أنها ستكون فريسة سهلة لرجل مخادع .

وكان مستر جاردنر وزوجته قد أسرعا بالعودة ، وهما مرتاعان ، وأفضت إليهما إلزبث فى حدة بسبب استدعائهما ، وكان لا بد لهما أن يتأثرا أشد التأثر من ذلك الخبر ، وإن لم تكن ليديا فى يوم من الأيام محببة إليهما . وبعد أن هدأت صيحات الدهشة والارتياع الأولى ، وعدها مستر جاردنر من فوره بأن يقدم لها كل ما فى وسعه من المعونة . وسرعان ما استقر الرأى على كل ما تستلزمه رحلتهم من استعداد .

وصاحت مسز جاردنر قائلة : «ولكن ماذا نفعل بالدعوة إلى بمبرلى ؟»

فأجابت إلزبث قائلة : «لقد أخبرت مستر دارسى أننا لن نستطيع الوفاء بوعدنا . لقد انتهينا من ذلك كله» .

وأعادت مسز جاردنر فى نفسها وهى تسرع إلى حجرتها لتعد العدة للسفر : « ما الذى فرغت منه كله ؟ وهل بينهما من العلاقة ما يجيز لها أن تفضى إليه بجلية الخبر ؟ ما أشد رغبتى فى أن أعرف هذا ! » .

وكان لا بد من حزم الأمتعة وكتابة الرسائل إلى جميع أصدقائهم فى لمبتن واختلاق المعاذير لرحيلهم المفاجئ . على أنه لم تمض إلا ساعة حتى تم كل شىء ، ووجدت إلزبث نفسها جالسة فى العربة تنطلق بها فى طريقها إلى لنجبورن .

الفصل الثالث والأربعون

واجتازوا المسافة بأسرع مايستطيعون ؛ وناموا ليلة واحدة فى الطريق ، ثم بلغوا لنجبورن فى اليوم الثانى وقت العشاء .

وجذب منظر العربة أبناء جاردنر الصغار فوقفوا على درج البيت ، وكانت دهشتهم وبهجتهم التى تلألأت من أجلها وجوههم هى تحيتهم الأولى للقادمين .

وقفزت إلزبث من العربة ، وقبلت كل طفل من الأطفال قبلة عاجلة ، وأسرعت إلى الردهة حيث التقت على الفور بجين ، وكانت قد أقبلت إليها تجرى من غرفة والدتها .

وحيتها إلزبث تحية ملؤها العطف ، وعيناها مغرورقتان بالدمع ، وسألتها من فورها هل جاء نبأ من الآبقين

فأجابتها جين : « لم يأتنا شىء بعد » .

« وهل والدى فى لندن ؟ »

« نعم فقد ذهب إليها يوم الثلاثاء » .

« وهل كتب إليكن كثيراً ؟ »

« لم يكتب إلا مرة واحدة لينبئنا بوصوله وليرسل إلىّ عنوانه ، ولم يزد على ذلك إلا قوله إنه لن يكتب إلينا مرة أخرى حتى يكون لديه شىء هام ينبئنا به » .

« وأمنا — كيف حالها ؟ »

« إن أمنا بحال لا بأس بها ، وإن كانت أعصابها شديدة الاضطراب ، وهى لا تزال فى الفراش . أما ميرى وكتى فهما بحمد الله فى أحسن حال »

وصاحت إلزبث : « وأنت — كيف حالك أنت ؟ إنك مصفرة الوجه ، ما أشد ما قاسيت ! »

لكن أختها أكدت لها أنها على أحسن حال . وكان هذا الحديث يدور ومستر جاردنر وزوجته مشغولان بأطفالهما ، فلما اقتربت الجماعة كلها منهما انقطع الحديث .

وذهبوا جميعاً إلى حجرة مسز بنت فاستقبلتهم بالطريقة التى توقعوا أن تستقبلهم بها ، بدموع منهمرة ، وعبارات الأسف ، وطعن فى سلوك وكهام الخبيث ، وشكوى من آلامها وسوء معاملتها . وأخذت تلوم كل إنسان إلا من كانت سوء تنشئتها لابنتها أكبر سبب بلا شك فى أخطاء هذه الفتاة[1] .

وقالت : « لو أننى استطعت أن أذهب إلى بريتن مع أسرتى جميعها لما وقع هذا قط . ولكن عزيزتى ليديا المسكينة لم تجد من يعنى بها . مسكينة طفلتى العزيزة ! وها هوذا مستر بنت قد سافر ، وأنا أعرف أنه سيقاتل وكهام ، وسيُقتل ، وماذا يحدث لنا نحن بعدئذ ؟ إن آل كانز سيخرجوننا من هذا البيت قبل أن تبرد جثته

(١) أى الأم نفسها

فى قبره ، وإذا لم تشفق علينا أنت يا أخى فلست أدرى ماذا تكون عاقبة أمرنا » .

وصاحوا كلهم محتجين على هذه الأفكار المروعة ، وأخبرها مستر جاردنر أنه سيذهب إلى لندن مباشرة ، ويقدم لمستر بنت كل مايستطيعه من عون فى بحثه عن ابنته .

وأجابته مسز بنت : « آه يا أخى العزيز ، إن هذا بالضبط هو ماأرغب فيه أشد الرغبة ، وأرجو حين تذهب إلى المدينة أن تكشف مكانهما حيثما يكونان ، وإذا لم يكونا قد تزوجا قبل أن تجدهما فزوجهما ولا تجعلهما ينتظران حتى تأتيهما ملابس العرس ، بل قل لليديا إنها ستُعطى من المال ماتشاء لتشترى به هذه الملابس بعد الزواج . وأهم من هذا كله أن تمنع مستر بنت من القتال ، وحدثه عن سوء حالى — وقل له إن عقلى يكاد يذهب من شدة الخوف ، وإن جسمى كله يرتعد ، وإن رأسى شديد الألم ، وإن دقات قلبى مضطربة ، وإنى لاأذوق للراحة طعما بالليل أو بالنهار . وأبلغ ابنتى العزيزة ليديا ألا تصدر أية أوامر خاصة بملبسها قبل أن ترانى ، لأنها لاتعرف خير الحوانيت التى تبتاعها منها . آه ياأخى ماأكثر شفقتك ! إنى أعرف أنك ستحسن تصريف كل شىء » .

ولم يسع مستر جاردنر إلا أن ينصحها بالاعتدال فى آمالها ومخاوفها على السواء ، وظل الحديث دائراً على هذا النحو حتى هيئ

بالعشاء على المائدة ، وتركاها لتعنى بها مديرة البيت . ومع أن مستر جاردنر وزوجته كانا واثقين من أنه لا ضرورة حقة تدعو لملازمتها الفراش ، فإنهما لم يحاولا قط أن يعارضا فى رغبتها هذه ، لأنهما كانا يعرفان أنها لم تؤت من الحكمة ما يكفى لحملها على أن تمسك لسانها عن الكلام أمام الخدم وهم يخدمونهم على مائدة الطعام .

وانضمت إليهم فى حجرة الطعام ميرى وكتى وقد منعهما انشغالهما فى حجرتيهما الخاصتين أن تظهرا قبل ذلك الوقت أمام القادمين . وقد جاءت إحداهما من بين كتبها وجاءت الأخرى من زينتها ، وكانت كلتاهما هادئة كثيراً ولا يظهر عليها أى أثر للتغير ، وإن كانت كتى قد صارت أكثر شكاية من مألوف عادتها ، إما لفقدها أختها المحببة إليها أو لما صُبَّ عليها هى من غضب فى هذه المسألة .

واستطاعت ابنتا مستر بنت الكبيرتان أن تجدا نصف ساعة تجتمعان فيه وحدهما لتتحدثا فى الأمر حديثاً جدياً . وعرفت إليزبث أن سمعة وكهام السيئة قد أخذت تنتشر ، فقد كان الكولونل فورستر يعتقد أنه شخص متهور مسرف ، وقيل وقتئذ إنه غادر مريتن وهو مثقل بالدين .

« آه يا چين لو أننا لم نكتم السر إلى هذا الحد ، ولو أننا قلنا ما نعرف عنه ، لما حدث هذا » .

« إنا لم نقصد فيما فعلنا إلا الخير » .

ثم أطلعت چين مسز فورستر على خطاب ليديا الذى جاء به الكولونل معه ، وها هو ذا نصه :

« عزيزتى هريت :

« ستضحكين حين تعرفين أين ذهبت ، ولا يسعنى أنا نفسى إلا أن أضحك من دهشتك فى صباح الغد حين لا تجدينى . سأذهب إلى جرتنا جرين ، وإذا لم تستطيعى أن تحزرى مع من ذهبت فلا بد لى أن أظن أنك بلهاء ، ذلك أنه لا يوجد فى العالم إلا شخص واحد أحبه ، وهو ملاك بحق ، ولن أكون سعيدة إلا معه ، ولهذا لا تظنى أن فى فرارى معه ضرراً ما . ولا حاجة لك بأن تخبرى من فى لنجبورن ، إذا لم تشائى أن تخبريهم ، لأن دهشتهم ستزداد حين أكتب إليهم وأوقع رسالتى باسم ليديا وكهام ، وما أحسنها من فكاهة حين يكون هذا ! أرجو أن تعتذرى عنى إلى پرات ، لأنى سأخلف اتفاقى بأن أرقص الليلة معه . وسأرسل فى طلب ملابسى حين أصل إلى لنجبورن ؛ ولكنى أحب أن تخبرى الخادمة بأن تصلح خرقاً كبيراً فى ثوبى الأزرق قبل أن تحزمه . أستودعك الله . بلغى حبى لمسز فورستر ، وأرجو أن تشربى متمنية لنا رحلة طيبة .

صديقتك المحبة ليديا بنت »

ولما فرغت چين من قراءة هذه الرسالة صاحت إثر بث قائلة : ألا ما أقل عقلك يا ليديا ! ما أقل عقلك ! أى خطاب هذا الذى تكتبينه فى تلك اللحظة ! ولكن أقل ما يدل عليه أنها كانت جادة

فى الغرض الذى ترمى إليه من رحلتها . مسكين يا أبى ؛ لقد كان وقعه شديداً عليه ! .

« لم أر إنساناً اهتز من هول صدمة كما اهتز هو . لقد ظل عشر دقائق كاملة لا يستطيع النطق بكلمة واحدة ، وأما أمى فقد انتابها المرض فى الحال ، وساد الاضطراب المنزل كله » .

وصاحت إلزبث قائلة : « آه يا چين ! هل لنا خادم لم يعرف القصة كلها قبل أن ينقضى اليوم ؟ » .

« لست أعرف ، ولكنى أرجو ذلك ؛ غير أن اصطناع الحكمة فى مثل ذلك الوقت من أصعب الأمور » .

« إنك لا تظهر عليك علائم الصحة ؛ لقد اضطررت أن تقاسى بمفردك كل ما سببه هذا العمل من قلق وانشغال بال » .

« لقد أظهرت كتى وميرى كثيراً جداً من الشفقة والرحمة ، وكانتا تريدان من غير شك أن تقاسمانى كل متاعبى ، ولكن كتى ضعيفة البنية وميرى تجهد نفسها فى الدرس ، ويجب ألا نزعجها فى أوقات راحتها ، وجاءت إلينا خالتنا فلپس بعد أن ذهب والدنا وأقاربنا وواستنا كثيراً ، وكانت السيدة لوكاس رحيمة بنا أعظم الرحمة ، فقد جاءت إلينا مشياً على الأقدام لتظهر لنا عطفها وتقدم لنا معونتها » .

وصاحت إلزابث : « ليتها بقيت فى دارها ؛ ربما كانت حسنة النية ، ولكن الإنسان إذا حلت به مثل هذه الكارثة كان فى وسعه أن يرى غير قليل مما يضمره جيرانه » .

الفصل الرابع والأربعون

وبدت مريتن كلها وكأنها تتوق إلى التشهير بالرجل الذى أوشك أن يكون من قبل فى رأيها ملاكا من نور ؛ وقيل عنه إنه مدين لكل تاجر فى ذلك المكان ، وإنه أحب معظم بنات أولئك التجار ؛ وجهر كل إنسان بأنه أخبث شاب فى العالم كله ، وبدأ كل واحد يعتقد أنه كان على الدوام لا يثق بطيبته الظاهرة .

وترددت مسز فليس على آل بنت وقصدها فيما تزعم أن تفرج كرب الأسرة ، ولكنها لم تأت مرة إلا لتضرب لها مثلا جديداً على سوء سلوك وكهام ، ولهذا فإنها قلما كانت تغادر المكان من غير أن تترك من فيه وهن أشد كآبة مما كن قبل مجيئها إليهن .

وكانت كل أيام أسرة لنجبورن فى هذه الأثناء أيام قلق ، ولكن أشد ساعات اليوم قلقا هى الساعة التى كن ينتظرن فيها وصول البريد . غير أن أخباراً ذات بال لم تصل من لندن ، وإن كان خطاب قد جاء باسم أبيهن من جهة أخرى ، من مستر كانز . وكانت چين قد تلقت من أبيها أمراً بأن تفض كل ما يأتى باسمه من رسائل فى أثناء غيابه ، ولذلك قرأت الخطاب . وكانت إليزبث تعرف ما فى رسائله من غرابة على الدوام ، ولذلك قرأته هى الأخرى . وهذا هو نصه :

« سيدى العزيز :

أرى من واجبى ، بحكم ما بيننا من أواشج القربى وبحكم مركزى فى الحياة ، أن أعطف عليك فى محنتك الحاضرة ، وهى محنة لا بد أن تكون من أقسى المحن ، لأن منشأها أمر لا يقوى الزمن مهما طال على أن يمحو أثره . ولو أن ابنتك قد ماتت لكان موتها نعمة إذا قيس إلى هذه الكارثة . ومما يزيد من وقعها أن هناك من الأسباب ما يحمل على الظن بأن هذا المسلك الذى سلكته ابنتك كان سببه نقص تربيتها المنزلية ، وإن كنت فى الوقت نفسه أميل إلى الظن بأن أخلاقها سيئة بطبيعتها . ومهما يكن من هذا الأمر فإن حالك يرثى لها كثيراً ، وهذا رأى لا تشترك معى فيه زوجتى فحسب بل تشترك فيه أيضاً السيدة كترين وابنتها ، وهما متفقتان معى على أن هذه الخطوة غير الموفقة سيكون لها أثر سىء فى حظ بناتك الأخريات جميعهن ، وهل فى الناس من يرضى بأن تكون له صلة بأسرة هذا شأنها ؟ وهذا الاعتبار يحملنى على التفكير ، ونفسى راضية كل الرضا ، فى حادثة معينة وقعت فى شهر نوفمبر الماضى ، ولو أنها قد انتهت على غير ما انتهت إليه لكان لى الآن نصيب مما أصابكم من أحزان وما ثلوثتم به من عار . ونصيحتى لك يا سيدى العزيز أن تطرح ابنتك العاقة وراء ظهرك إلى أبد الدهر ، وأن تتركها لتنال جزاء خبثها .

ولا زلت ياسيدى العزيز الخ » .

واستولى اليأس على مستر بنت آخر الأمر لعدم توفيقه فيما حاوله من اقتفاء أثر ابنته ، ولذلك أنصاع إلى ما طلبه إليه أخو زوجته ، وهو أن يعود إلى أسرته ويترك له أن يفعل ما يراه صالحا . ولما نبئت مسز بنت بهذا لم تظهر من الرضا ما كانت بناتها يتوقعنه منها

« ما هـذا ؟ أيأتى إلى المنزل دون أن تكون معه ليديا المسكينة ؟ ومنذا الذى يقاتل مستر وكهام ، ويرغمه على الزواج بها إذا عاد هو ؟ » .

ولما كانت مسز جاردنر قد أخذت تتوق إلى العودة إلى منزلها ، فقد غادرت هى وأطفالها لنجبوَرن فى العربة التى أرسلت لتأتى بمستر بنت إلى منزله . وغادرت البيت دون أن تقل حيرتها من أمر إلزبث وصديقها فى دربى شير عما كانت عليه من قبل .

وعاد مستر بنت ولم يفارقه هدوؤه المألوف . وظل صامتا لا ينطق إلا بالقليل ، ولم يقل شيئاً عن الأمر الذى أبعده عن بيته ، ومضى بعض الوقت قبل أن تجرؤ بناته على التحدث إليه فيه .

ولم تجسر إلزبث على طرق هذا الموضوع إلا بعد الظهر ، ولما أبدت عطفها عليه قال لها : « لا تتحدثى بشىء عن هـذا ، فمنذ الذى يتألم له غيرى ؟ لقد كان هذا من عملى ، ويجب علىّ أنا أن أقاسى عاقبته » .

ثم صمت قليلا وواصل حديثه قائلا : « لست غاضبا عليك ، لأنك كنت على حق فيما نصحتنى به فى شهر مايو الماضى » .

ثم قطعت عليهم حين حديثهم ، وقد جاءت لتأخذ لأمها الشاى.

وقال هو : « إن هذا احتفال يفيد الإنسان ! وسأفعل هذا الفعل نفسه فى يوم آخر ، سأجلس فى حجرة كتبى وأحدث من الاضطراب كل ما أستطيع — أو لعلى أستطيع أن أرجئه حتى تفر كتى » .

وقالت كتى بنغمة الشاكية : « لن أفر يا والدى ؛ ولو قدر لى أنا أن أذهب إلى بريتن لكان سلوكى خيراً من سلوك ليديا » .

أتذهبين أنت إلى بريتن ! لو أننى أعطيت خمسين جنيهاً لما أمنت عليك أن تقتربى منها ! لا يا كتى ؛ لقد تعلمت على الأقل أن أكون حذراً ، وستشعرين بأثر هذا الحذر . لن يدخل ضابط أيا كان منزلى بعد اليوم . بل لن يمر أحد منهم مجرد مرور فى هذه القرية ، وحفلات الرقص محرمة عليكن إلا إذا راقصت إحدى أخواتك ، ولن تخرجى من المنزل إلا بعد أن تثبتى أن فى وسعك أن تقضى عشر دقائق من كل يوم وأنت عاقلة رزينة » .

وأخذت كتى هذه التهديدات جميعها مأخذ الجد وشرعت تبكى

وقال هو : « حسن ؛ حسن ؛ لا تبتئسى ، وإذا ظللت بنتاً صالحة طوال العشر السنوات المقبلة ، فسآخذك إلى عرض للجنود فى آخر هذه السنين العشر » .

الفصل الخامس والأربعون

وبينما كانت چين وإلزبث تمشيان فى الحديقة خلف البيت بعد يومين من عودة مسز بنت رأتا مديرة البيت مقبلة نحوهما .

وقالت لچين : « عفوا ياسيدتى إذا قطعت عليكما ما أنتما فيه ، ولكننى كنت أرجو أنكما قد تلقيتما أخبارا من المدينة فجرؤت على المجيء لأسأل عنها »

« ماذا تقصدين بهذا ؟ إننا لم تصل إلينا أخبار من المدينة »

وصاحت مديرة المنزل : « ألا تعلمين ياسيدتى العزيزة أن خطابا قد جاء بالبريد العاجل من مستر جاردنر من نصف ساعة مضت ؟ »

وأسرعت الفتاتان وقد بلغ من شوقهما إلى الوصول إلى المنزل أنهما لم تجدا لديهما وقتا للحديث . واخترقتا الردهة وهما تجريان إلى حجرة الإفطار ، ثم خرجتا منها إلى المكتبة ولكنهما لم تجدا أباهما فى واحدة منهما . وأوشكتا أن تبحثا عنه فى الدور العلوى مع أمهما ولكنهما التقتا بكبير الخدم فقال لهما .

« إن كنتما ياسيدتى تبحثان عن سيدى فهو يسير على قدميه نحو الأجمة الصغيرة »

وخرجتا من البيت مرة أخرى على الفور ، وأخذتا تعدوان فوق الخميلة وراء أبيهما . ولم تكن چين سريعة العدو كإلزبث ، ولذلك

لم تلبث أن أبطأت فى سيرها ، أما أختها فقد لحقته وهى لا تكاد تقوى على التنفس من فرط التعب ، ونادته بقوة :

« أى أبى ، ماذا لديك من الأخبار ؟ أطيبة هى أم غير طيبة ؟ »

وأجابها وهو يخرج الخطاب من جيبه : « وأى خبر طيب يمكن أن ننتظره ؟ ولكن لعلك تحبين أن تقرئيه »

وانتزعت إلزبث الخطاب من يده ، وفى هذه اللحظة أدركتها چين وقال لها والدهما : « إقرئى الخطاب بصوت عال »

شارع جريس تشرتش (١)

فى يوم الأثنين ٢ أغسطس

« أخى العزيز

« وأخيرا أستطيع أن أبعث إليك ببعض الأخبار . لقد كشفت ابنة أخى هى والشاب ، ولم يتزوجا بعد ، ولم أتبين أى شاهد على أنهما يعتزمان الزواج ، ولكنك إذا رضيت بأن توفى بالوعود التى جرؤت على أن أقطعها لهما بالنيابة عنك ، فإنى أرجو ألا يمضى وقت طويل قبل أن يتزوجا . وكل ما يجب عليك فى هذه الحال هو أن تتعهد لابنتك تعهدا قانونيا بأن يكون لها نصيبها كسائر أخواتها فى الخمسة الآلاف من الجنيهات الموصى بها لبناتك بعد موتك وموت أختى ، وأن تتعهد فضلا عن هذا بأن ترتب لها فى أثناء حياتك مائة جنيه فى كل عام . هذا وليست حال مستر وكهام ميئوسا منها كما كان

(١) شارع جريس تشرتش أحد شوارع حى الأعمال فى لندن

يظن ، ويسرنى أن أخبرك أنه سيكون لديه قليل من المال يبقى لابنتنا حتى بعد أن تؤدى ديونه . وليس ثمة حاجة مطلقا تدعو لمجيئك إلى لندن لأنى سأقدم لمحاميك كل مايلزمه من التفاصيل لتحرير العقد . فأرسل إلىّ بردك على هذا بأسرع ماتستطيع . وقد رأينا أنه يحسن أن تتزوج ابنتنا من هذه الدار ، وأرجو أن توافق على هذا الرأى .

المخلص ألخ

إدورد جاردنر

« وهل رددت على هذا الخطاب ؟ »

فأجاب : « إنى أكره كثيرا أن أرد عليه ، ولكن لابد من الرد »

قال هذا ثم عاد مع ابنته وسار نحو البيت .

وقالت إلزبث : « وهل لى أن أسأل ؟ ولكنى أظن أنه يجب أن يوفى بهذه الشروط ، أليس كذلك ؟ »

« أن يوفى بها ! إنى لشديد الخجل لأنه طلب هذا القدر القليل »

« ولا بد أن يتزوجا ! ومع هذا فأى رجل هو ! »

« نعم ، نعم ، وليس ثمة شىء غير هذا يمكن عمله . لكن هناك شيئين أنا شديد الرغبة فى معرفتهما — أولهما مقدار مادفعه خالك من المال ليصل به إلى هذه النتيجة ؛ والثانى كيف أستطيع أن أرد إليه مادفعه ؟ » .

وصاحت چين قائلة : « المال ! خالى ! ماذا تعنى بهذا ياسيدى ؟ »

« الذى أعنيه أنه لايوجد إنسان مالك لقواه العقلية يتزوج

ليديا بهذا الإغراء الضئيل ، وهو مائة جنيه فى العام مادمت حيا ، وخمسون جنيها بعد وفاتى» .

وقالت إلزبث : « هذا حق لاشك فيه ، وإن لم يكن قد خطر ببالى من قبل . تؤدى ديونه ، ويبقى بعد ذلك شىء له ! لاشك أن هذا من صنع خالى . ما أكرمه من رجل وما أطيب قلبه ! إن مبلغا قليلا من المال لا يمكن أن يؤدى إلى هذا كله ! »

وقال أبوها : « لا ؛ إن وكهام يكون إنساناً أبله لو قبلها بأقل من عشرة آلاف جنيه ببنس واحد » .

« عشرة آلاف جنيه ! لا قدر الله ! وكيف يستطاع الوفاء بنصف هذا القدر ؟ » .

ولم يحر مستر بنت جواباً ، وظللنا جميعاً صامتين غارقين فى التفكير حتى وصلنا إلى البيت ، ثم ذهب الوالد إلى المكتبة ليرد على الخطاب .

وصاحت إلزبث قائلة بعد أن صارت هى وأخواتها وحدهن : « وسيتزوجان حقاً ! ألا ما أغرب هذا ! ومع أن فرصة تمتعهما بالهناءة قليلة ، ومع أن أخلاقه سافلة ، فإنا مرغمون على أن نبتهج ! آه يا ليديا ! » .

وخطر للبنتين وقتئذ أن أمهما فى أغلب الظن لا تزال تجهل كل الجهل ما قد حدث . ومن أجل هذا ذهبتا لتستأذنا أباهما فى أن تطلعاها عليه . فأجابهما فى هدوء دون أن يرفع رأسه عن الرسالة التى كان يكتبها :

« افعلا ما يروق لكما » .

« وهل تأذن لنا بأن نأخذ خطاب خالنا لنقرأه لها ؟ »

« خذا ما تشاءان وأخرجا من هنا » .

وبعد أن هيأن ذهن مسز بنت قليلا لسماع أخبار سارة ، قرأنا عليها الخطاب بصوت عال ؛ ولم يكن فى وسع أمهما أن تملك حواسها ، فقد كاد قلبها يطير فرحاً بعد الجمل القليلة الأولى ، ولم يقلق بالها أى خوف على سعادة ابنتها ، ولم يضع من قدرها فى عينها هى نفسها تذكرها سوء سلوكها .

وصاحت : « تلك أنباء سارة حقاً ! ستتزوج وهى فى السادسة عشرة ! ما أعظم شوقى إلى رؤيتها ورؤية عزيزى وكهام أيضاً ! ولكن الملابس ، ملابس العرس ! سأكتب إلى أختى جاردنر عنها فى الحال . دق الجرس يا كتى واستدعى الخادمة . سألبس ملابسى على الفور ، سأذهب إلى مريتن بعد أن ألبس مباشرة ، وأبلغ أختى فليس هذا النبأ السار ، وسأعرج فى عودتى على السيدة لوكاس والسيدة لنج » .

ثم أخذت تطلع الخادمة على هذا النبأ ، وشرعت هذه من فورها تعبر عن سرورها . وتلقت إلزبث منها التهنئة كما تلقتها سائر أخواتها ، ثم ملت هذا السخف فآوت إلى حجرتها حتى تستطيع أن تفكر بكامل حريتها .

الفصل السادس والأربعون

طالما تاقت نفس مستر بنت قبل هذا الوقت الذى نتحدث عنه من حياته أن لو استطاع أن يقتصد جزءاً من دخله فى كل عام بدل أن ينفقه جميعه ، وذلك لكى يمد به بناته ويمد به زوجته إذا عاشت بعده . والآن أصبحت هذه الرغبة أشد مما كانت فى أى وقت مضى . ولو أنه أدى واجبه هذا لما كانت ليديا الآن مدينة إلى خالها بما يستطاع ابتياعه لها من مقام أو مال .

وكان مستر بنت فى أول عهده بالزواج يرى أن الاقتصاد لا فائدة منه على الإطلاق ؛ وذلك لاعتقاده أنه سيرزق ولداً بطبيعة الحال ، وحينئذ يحبب الولد متى بلغ سن الرشد من حبست عليه ثروة مستر بنت ، وبهذا تنال أرملته وأطفاله الآخرون نصيبهم من الثروة . ولكن حدث أن جاء مستر بنت إلى هذا العالم بخمس بنات متتابعات ولما يأت الولد . ثم يئس أخيراً من مجيئه ، وكان أوان البدء فى الاقتصاد قد مضى . وكانت مسز بنت بطبيعتها مسرفة فى المال ، ولم يمنعها هى وزوجها أن تنفقا أكثر من دخلهما إلا حب زوجها فى ألا يكون كلاً على غيره .

وكان قد رتب لمسز بنت وأطفالها بمقتضى عقد الزواج خمسة آلاف جنيه ، ولكن النسبة التى يقسم بها نصيب البنات بينهن

ترك أمرها لإرادة الوالدين وحدهما . وتلك مسألة كان فى الاستطاعة تقريرها الآن بالنسبة لليديا على الأقل ، ولم يتردد مستر بنت فى قبول ما اقترحه عليه صهره . ولم يكن قد ظن فى يوم من الأيام أن هذه المسألة يمكن أن تسوى ولا تكلفه إلا العناء القليل . فالجنيهات المائة التى سيؤديها إلى ابنته ووكهام لا تكاد تنقص من دخله السنوى عشرة جنيهات ؛ ذلك أن نفقات ليديا كانت تستنفد هذا المبلغ تقريباً إذا حسبنا ما تتكلفه من مأكل ومشرب ومصروف يد والهدايا المستمرة التى كانت تهديها إليها والدتها نقداً .

ولهذا كتب إلى مستر جاردنر يبلغه موافقته وشكره ، ولكنه لم يكتب شيئاً إلى ليديا لشده غضبه منها .

وكان قد مضى أربعة عشر شهراً على نزول مسز بنت إلى الطابق الأسفل ، ولكنها فى هذا اليوم السعيد اتخذت مقعدها مرة أخرى على رأس المائدة وهى مغتبطة أشد الاغتباط . فلم يكن ثمة شىء من الخجل يفسد عليها ما نالته من الظفر . وكانت كل أفكارها متجهة إلى الملابس والعربات والخدم والحصول على بيت يتسع لليديا . وسمح لها زوجها أن تتحدث دون أن يقاطعها طالما كان الخدم حاضرين ، فلما أن ابتعدوا قال لها : « اعلمى يا مسز بنت ، قبل أن تأخذى لابنتك هذه البيوت كلها أو واحدا منها ، أنها لن يسمح لها قط بدخول هذا البيت على الأقل » .

وأعقب هذا القول نزاع طويل ، ولكن مستر بنت ثبت على

رأيه ، وسرعان ما شجر نزاع آخر ؛ ورأت مسز بنت ، وقد استولى عليها الرعب والعجب ، أن زوجها لن يدفع بنساً واحداً لشراء ملابس لابنته ، وأعلن أنها لن تنال منه فى هذه المناسبة أى دليل على عطفه . وآلم مسز بنت ما سوف يلحق ابنتها من العار بسبب حاجتها إلى الملابس الجديدة أكثر مما آلمها ذلك العار الذى يسر بلها بسبب الظروف التى أثمرت هذا الزواج .

وشعرت إلزبث وقتئذ بالأسف الشديد لأن وقع المصيبة عليها ساعة علمت بها قد جعلها تفضى إلى مستر دارسى بما خالجها من الخوف على أختها ، وذلك لأن زواجها سيغطى الآن على ما ارتكبته من الخطأ ويخفيه إلا عمن شهده بعينية . نعم إنها كانت تعلم أن فى وسعها أن تأتمنه على هذا السر ، ولكنها فى الوقت نفسه قد أذلها وأحزنها أن يعرف هو نفسه من بين الناس كلهم ما لحق أسرتها من العار .

ولم تكن تشك فى أن رغبته فى كسب احترامها لن يبقى لها أثر بعد هذه الضربة القاضية ؛ وأصبحت الآن تتمنى أن يحسن الظن بها فى الوقت الذى لم يعد لها رجاء فى أن تفيد شيئاً من هذا الظن الحسن ؛ وكانت تتوق إلى أن تسمع أخباره فى الوقت الذى لم يكن فيه لديها أقل احتمال لأن تعرف شيئاً عنه ، وأصبحت واثقة من أنها تكون سعيدة بزواجه فى الوقت الذى لم يبق فيه أمل ما فى أن تلتقى به .

وكثيراً ما قالت لنفسها إن نصره سيكون بلا شك نصراً مؤزراً إذا عرف أنها تقبل الآن وهى شاكرة مغتبطة ذلك المرض الذى رفضته بازدراء وكبرياء من أربعة أشهر لا أكثر !

وبدأت وقتئذ تدرك أنه هو بعينه الرجل الذى يوائمها أشد الموائمة بفضل أخلاقه وكفايته ، وأن اقترانه بها كان فيه من غير شك الخير لهما جميعاً ؛ ذلك أن ما فى طباعها من يسر ومرح قد يلطف من عقله ويصلح من طباعه ، وأنها هى قد تستفيد فوائد عظيمة الشأن من حكمته وعلمه ومعرفته بالعالم .

LIBRARY

الفصل الثانى والخمسون

وبعد أسبوع من ذلك الوقت أو نحوه وقفت على حين غفلة عربة خارج البيت فى الصباح الباكر قبل أن يحين موعد الزيارات ، ولم تكن العربة أو زى الخدم من الطراز المألوف . وفر الخطيبان من فورهما إلى الحديقة وتركا سائر السيدات لا يدرين من عسى أن يكون الزوار ، حتى فتح باب العربة ودخلت البيت السيدة كترين دى بورج .

وسارت السيدة كترين وهى تبدو أكثر فظاظة من عادتها ، ولم ترد تحية إلزبث بأكثر من إيماءة برأسها ، ثم جلست من غير أن تنطق بكلمة .

وظلت برهة قصيرة صامتة ثم قالت لإلزبث فى عنف شديد :

« أرجو أن تكونى بخير يا آنسة بنت . إن هذه السيدة على ما أظن هى والدتك ؟ » .

وأجابت إلزبث إجابة مختصرة بقولها إنها أمها .

« وتلك فى ظنى إحدى أخواتك » .

وردت عليها مسز بنت قائلة : « نعم يا سيدتى » ، وكانت إلزبث قد ذكرت لها اسم الزائرة فرأت فى زيارتها شرفاً عظيما .

وقالت السيدة كترين بعد صمت قصير : « إن لكم بستاناً صغيراً هنا ، وما من شك فى أن هذه الحجرة لا تصلح فى الصيف

لأن تكون حجرة جلوس فى المساء ، لأن نوافذها غربية محضة »

وأكدت لها مسز بنت أن الأسرة لا تجلس فيها بعد العشاء ، ثم أضافت إلى ذلك قولها :

« هل تسمحين لى أن أسأل سيادتك عن مستر كلنز وزوجته ، وهل هما بخير ؟ » .

« نعم هما بخير جداً » .

وتوقعت إلزبث وقتئذ أن تقدم لها السيدة كترين رسالة من شارلوت ، فقد كان يبدو لها أن هذا هو أرجح سبب لهذه الزيارة . ولكن هذه الرسالة لم تظهر ، وحيرها عدم ظهورها أشد الحيرة .

ورجتها مسز بنت فى أدب جم أن تتناول بعض المرطبات ، ولكنها رفضت هذا بحزم وفى غير أدب كثير ، ثم وقفت السيدة كترين وقالت لإلزبث :

« إنه ليسرنى يا آنسة بنت أن أسير فى حديقتكم إذا تفضلت بمرافقتى » .

وأجابتها إلزبث إلى طلبها . ولما مرا خلال الردهة فتحت السيدة كترين البابين المؤديين إلى حجرة الطعام وحجرة الاستقبال وأعلنت أنهما حجرتان لا بأس بهما .

ثم سارتا صامتتين إلى الأبهة الصغيرة ، وقد اعتزمت إلزبث ألا تحاول فتح باب الحديث مع امرأة زادت فظاظتها ووقاحتها عن مألوف عادتها .

فلما دخلا الأجمة بدأت السيدة كترين من فورها حديثها بالطريقة الآتية :

« ليس ثمة يا آنسة بنت ما يحيرك فى فهم سبب زيارتى فإن قلبك وضميرك نفسهما لابد أن يحدثاك عن سبب مجيئى » .

ونظرت إليها إلزبث مندهشة حقاً .

وواصلت السيدة حديثها بلهجة الغضب قائلة : « يجب أن تعرفى يا آنسة بنت أننى لست ممن يطقن العبث معهن ، لقد نقل إلىّ من يومين نبأ مروع أشد الارتياع ، إذ بلغنى أنك أنت يا آنسة إلزبث ستقترنين فى أغلب الظن بابن أختى ، ابن أختى أنا . ومع أنى أعرف أن هذا كذب شائن مرذول فقد اعتزمت من فورى أن آتى إلى هنا حتى أبلغك ما أشعر به » .

وقالت لها إلزبث وقد امتقع وجهها من فرط الدهشة والازدراء : « إذا كنت قد اعتقدت أن هذا مستحيل فإنى أعجب لم تجشمت مشقة المجيء إلى هنا » .

« إن هذا يا آنسة بنت شيء لا يطاق ، وأنا أصر على أن أعلم الحقيقة ، فهل عرض عليك ، هل عرض ابن أختى عليك أمر زواجه بك ؟ » .

« لقد قلت سيادتك أن هذا مستحيل » .

« يا آنسة بنت هل تعرفين من أنا ؟ إن عليك أن تفهمينى حق الفهم ، إن مستر دارسى خطيب ابنتى ، والآن ما قولك فى هذا ؟ »

« لست أقول أكثر من هذا — إذا كان الأمر كذلك ، فليس لديك من الأسباب مايحملك على الظن بأنه سيعرض علىّ أن أتزوجه »

وترددت السيدة كترين برهة قصيرة ثم أجابتها بقولها :

« إن الاتفاق الذى بينهما اتفاق ذو صفة خاصة . إن النية معقودة منذ طفولتهما على أن يتزوجها ، لقد كانت هذه هى الرغبة التى ينطوى عليها قلب أمه وقلبى أنا نفسى . أليس لديك احترام لرغبات أقاربه ؟ » .

« ولكن ما شأنى أنا وهذا ؟ إليس فى وسع مستر دارسى أن يختار غيرها إذا شاء ؟ وإذا وقع اختياره علىّ فلم لا أقبله ؟ » .

« لا أريد أن يقاطعنى أحد ! فاستمعى إلىّ وأنت صامتة . إن ابنتى قد وجدت لابن أختى ، ووجد ابن أختى لابنتى . إنهما نبيلان بحق المولد والثروة . وأى شىء يحول بين اقترانهما ؟ أيحول بينه طمع فتاة لا مركز لها ولا مال ؟ » .

« إن ابن أختك سيد كريم وأنا ابنة سيد كريم » .

« ولكن ماذا كانت أمك ؟ ومن أخوالك وخالاتك ؟ أتظنين أنى أجهل أحوالهم ؟ » .

وردت عليها إلزبث بقولها : « إذا كان ابن أختك لا يعترض على هذه الأحوال فليس يعنيك أنت من أمرها شىء » .

« خبرينى ، هل خطبت له ؟ » .

ولم يكن فى وسع إلزبث إلا أن تقول : « لم أخطب » ، وحينئذ ظهرت على السيدة كترين دلائل الارتياح .

« وهل تعديني ألا ترتبطي معه بهذا الرباط ؟ » .

« لا أعدك بشيء من هذا القبيل » .

« يا آنسة بنت ! إن هذا شيء لا أطيقه . إني أعرف كل شيء عن أختك الصغرى . فهل تكون بنت كهذه أختاً لزوجة ابن أختي ؟ وهل يكون زوجها وهو ابن خادم أبيه عديله ؟[1] »

وردت عليها إلزبث بغيظ وحدة : « لن يكون في وسعك الآن أن تقولي أكثر مما قلت . لقد وجهت إليّ كل ما تستطيعين من إهانة ، ولا يسعني إلا أن أرجو أن أعود إلى منزلي » .

وانتفضت واقفة وهي تقول ذلك ، ووقفت أيضاً السيدة كترين وهي غضبي أشد الغضب ، وظلت تتحدث بهذه اللجهة عينها حتى وصلتا إلى باب عربتها ، وهنا التفتت إليها من فورها وقالت لها : « إني لا أستأذنك في الانصراف يا آنسة بنت ، ولا أرسل تحياتي إلى أمك فلست جديرة بمثل هذه الرعاية ، إني غضبي أشد الغضب »

ولم تجب إلزبث بشيء بل سارت في هدوء نحو البيت ، وقابلتها أمها في غير صبر وقالت لها : « هل كان لديها شيء تقوله لك يا لزى ؟ »

واضطرت إلزبث أن تسمح لنفسها بقليل من الكذب في هذه المسألة ، فقد كان من المستحيل عليها أن تصدقها القول عن الحديث الذي دار بينهما .

---

(١) العديل المعادل ولم نر ما يمنع إطلاق هذا اللفظ على كل من رجلين تزوجا أختين .

الفصل الثالث والخمسون

وكانت هذه الزيارة الغريبة منشأ اضطراب لازم إلزبث بعض الوقت ، وحيرها أن تتصور منشأ الإشاعة التى ذاعت عن خطبتها المزعومة ، اللهم ألا أن يكون مصدرها حديث جرى على الألسنة عقب أخبار چين وبنجلى . ولم يكن يسعها إلا أن تشعر ببعض القلق من عواقب تدخل السيدة كثرين فى الأمر ، لأنها لم تكن تعرف مبلغ سلطانها على ابن أختها . فإذا كان لديه شىء من التردد قبل فإن حجج خالته لابد أن تحسم الأمر فتقضى على كل تردد .

وقالت فى نفسها : « فإذا جاء منه اعتذار لصديقه عن عدم عودته فى خلال بضعة أيام قليلة ، فإنى فى هذه الحال لا يبقى لى أمل فى ثباته على حبه » .

وبينا هى نازلة إلى الطابق الأسفل فى صباح اليوم الثانى التقت بأبيها وكان خارجا من مكتبته وفى يده رسالة .

وقال لها : « لقد خرجت لأبحث عنك يالزى ، تعالى إلى حجرتى » .

ودخلت الحجرة خلفه وجلسا كلاهما . ثم قال لها :

« لقد تلقيت فى هذا الصباح رسالة خاصة بك أدهشتنى . إنى لم أكن أعرف إن لى ابنتين توشكان أن تتزوجا . فاسمحى لى أن أهنئك على مانلت من نصر خطير » .

وفى هذه اللحظة احمرت وجنتاها من الخجل ، حين اعتقدت أن الرسالة لم تكن من الخالة بل من ابن أختها . وأضاف إلى ذلك قوله :

« يبدو أنك تشعرين بحقيقة أمرك ، ولكنى واثق من أنك لا تستطيعين أن تحزرى اسم المعجب بك . إن هذه الرسالة من مستر كلنز » .

« من مستر كلنز ! وأى شىء لديه يمكن أن يقوله ؟ »

« هو يبدأ بالتهنئة بخطبة چين ثم يستمر قائلا : (ويقال إن ابنتك إلزبث ستتخلى بعد قليل عن اسم بنت ، والرجل الذى اختارته الأقدار شريكا لها رجل لحظته العناية بكل حظ عظيم ، فى ثروته ، وأهله ، وسعة نفوده . على أنى أرجو أن تسمح لى بأن أحذرك وأحذر قريبتى إلزبث — رغم هذه المغريات — من الخطر الذى تتعرض له إذا قبلت مايعرضه عليها هذا السيد . فهل لديك فكرة يالزى عمن عسى أن يكون هذا السيد) ستعرفينه الآن : (إن خالته السيدة كثرين ده بورج لاتنظر إلى هذا القران بعين الرضا)

فالرجل إذن هو مستر دارسى . وأظن يالزى أنى قد أخذتك الآن على غرة . فهل كان فى وسع كلنز أن يختار رجلا هو أقل الناس احتمالا للتقدم إليك ؟ أيتقدم إليك مستر دارسى الذى لم يُلق عليك — على ما أعتقد — نظرة واحدة فى حياته ؟ »

وحاولت إلزبث أن تشارك أباها فى مزاحه ، ولكن كل

ما وسعها أن تفعله هو أن تبتسم ابتسامة مكرهة عليها لأن فكاهاته لم تكن فى يوم ما أبغض لها منها فى ذلك الوقت .

« ألا تجدين فى هذا تسلية لك ؟ »

« بلى ! أرجو أن تستمر »

« ثم واصل قوله : (ورأيت من واجبى أن أبلغ قريبتى هذا النبأ على الفور حتى لا تعجل هى والرجل النبيل الذى أعجب بها على عمل ما) ، ثم يزيدعلى ذلك قوله (وإنى لمغتبط حقا لأن أمر ليديا المحزن قد كتم أشد الكتمان . على أنى لايسعنى أن أهمل مايحتمه علىّ مركزى من واجبات ، ولا بدّ لى من أن أجهر بدهشتى حين أسمع أنك استقبلت الفتى والفتاة فى دارك . إن عليك دون شك أن تعفو عنها ، ولكن عليك أيضا ألا تقبل أن تنظر إليهما بعينيك أو تسمع اسميهما يذكران لك) . إن ذلك هو العفو فى رأيه ! ولكن يبدو عليك بالزى أنك لم تسرى بهذا . أرجو ألا تكونى قد هممت بأن تدعى أن إهانة لحقتك من جراء هذه الإشاعة التافهة . وما الغرض الذى نعيش من أجله إذا لم نكن هدفا لعبث جيراننا ، ولم نضحك نحن عليهم فى نظير هذا ؟ »

فأجابته إلزبث : « إن هذا يطربنى إلى أقصى حد »

« نعم ، ولو أنهما وقع اختيارهما على أى رجل آخر لما كان للأمر شأن ما ، أما وهو لم يظهر شيئاً من العناية بك ، وأنت تكرهينه كرها شديداً ، فإن هذا الذى يقال سخيف سخافة يسر

لهـا الإنسان . وأرجوك أن تخبرينى يالزى ما الذى قالته السيدة كترين عن هذه الإشاعة ؟ فهل جاءت لتعلن عدم رضاها ؟ »

ولم تجب لبنته عن هذا السؤال بشىء غير الضحك . ولما كان والدها قد ألقى عليها السؤال من غير أن يظهر عليه شىء من الريبة فإنها لم ترتبك حين أعاده على مسامعها . ولم تكن إلزبث فى يوم ما أشد عجزا عن إخفاء مشاعرها وإظهارها على غير حقيقتها منها فى ذلك الوقت . فقد كان عليها أن تضحك فى الوقت الذى كان يصح لها أن تبكى فيه . لقد أذلها والدها إذلالا خاليا من كل رحمة حين أشار إلى عدم عناية مستر دارسى بها ، وكانت تخشى أن تكون قد أكبرت من هذه العناية فوق مايجب ، لا أن يكون والدها قد رأى منها أقل مايجب أن يراه .

الفصل الرابع والخمسون

واستطاع مستر بنجلى أن يحضر معه صديقه مستر دارسى إلى لنجبورن قبل أن تمضى أيام كثيرة بدل أن يرسل رسالة اعتذار من هذا الصديق كما توقعت إلزبث . وأقبل الرجلان مبكرين ، واقترح بنجلى أن يخرجوا جميعاً ليسيروا فى الخلاء مشيا على الأقدام . ولم تكن مسز بنت ممن اعتدن المشى ، ولم تجد ميرى متسعاً من الوقت للخروج ، ولكن الخمسة الأخرين خرجوا جميعاً . على أن بنجلى وجين تركا سائر الجماعة يسبقونهما ، وبقيت إلزبث وكتى ومعهما دارسى يحيى بعضهم بعضا .

وأرادت كتى أن تعرج على آل لوكاس ، فلما تركت الاثنين الآخرين سارت إلزبث وحدها مع دارسى فى جرأة .

وكانت قبل ذلك الوقت قد صممت على أمر خطير ، ورأت أن هذه هى اللحظة التى تستطيع فيها تنفيذ ما صممت عليه فقالت :

« إنى يا مستر دارسى فتاة أنانية ، ولا يهمنى أن أجرح عواطفك فى سبيل إراحة عواطفى . وليس فى وسعى بعد الآن أن أكتم شكرى لك جزاء عطفك على أختى المسكينة عطفا منقطع النظير » .

وأجاب دارسى بلهجة الدهشة والانفعال : « يؤسفنى ما نُقل

إليك مما عساه أن يكون قد سبب لك بعض التتاعب لخطأ فى فهم معناه » .

لا تلق اللوم على زوجة خالى . إن ليديا بطيشها هى التى أفشت السر أولا ، لم يكن فى وسعى بطبيعة الحال أن أستريح حتى عرفت تفاصيل الأمر . فاسمح لى أن أقدم شكرى مراراً وتكراراً بالنيابة عن أسرتى جميعها » .

فأجابها بقوله : « إذا كان لا بد أن تشكرينى فليكن شكرك لى عن نفسك وحدك . أما أسرتك فليست مدينة لى بشىء منه . وإنى ، وإن كنت أجلها ، لأعتقد أنى لم أفكر إلا فيك أنت » .

وارتبكت إليزبث فلم تستطع أن تقول شيئاً . وواصل رفيقها الحديث بعد صمت قصير : « لقد بلغتِ من الكرم حداً لا يصح معه أن تعبثى بى . فإذا كانت عواطفك لا تزال كما كانت فى شهر إبريل الماضى فقولى لى ذلك من فورك . أما أنا فحبى ورغباتى لم تتبدل ، وإن كلمة منك لتلزمنى الصمت فى هذا الموضوع إلى أبد الدهر » .

واضطرت إليزبث وقتئذ إلى الكلام ، وأفهمته لساعتها أن عواطفها قد طرأ عليها بعد ذلك الوقت من التغير الكبير ما يحملها على قبول تأكيده هذا بالشكر والسرور . وكانت السعادة التى غمرته حين سمع هذا الجواب سعادة لم يشعر بمثلها من قبل قط على الأرجح . وعبر فى هذا الوقت عن عواطفه بالحرارة التى يستطيع بها المحب الولهان أن يعبر عن هذه العواطف .

وظلا سائرين دون أن يعرفا فى أى اتجاه يسيران ، فقد كان لديهما من الأفكار والعواطف والأقوال ما يشغلهما عن الالتفات إلى أى شىء آخر ، وسرعان ما عرفت أنهما مدينان بما قام بينهما وقتئذ من تفاهم حسن إلى جهود خالته السيدة كترين ، فقد زارته فعلا لتقص عليه قصة رحلتها إلى لنجبورن وحديثها مع إلزبث ، ولكن قصتها وحديثها كان لهما من الأثر عكس ما كانت تريده منهما .

وقال لها : «لقد بعثت فىَّ من الأمل مالم أكن أسمح لنفسى من قبل بأن أطمع فيه . ذلك أنى كنت أعرف من أخلاقك مايؤكد لى أنك لو كنت مصممة كل التصميم على رفض طلبى لاعترفت إلى السيدة كترين بكل شىء جهرة » .

وامتقع لون إلزبث وضحكت وهى تجيبه بقولها : « نعم لقد عرفتَ من صراحتى مايجعلك تعتقد أنى قادرة على ذلك . فبعد أن عبتك فى وجهك هذا العيب الذى استحى منه الآن ، لم أكن لأتردد قط فى أن أعيبك أمام أقاربك »

وماذا قلتِ فىَّ غير ما أستحق ؟ نعم إن ماوجهت إلىَّ من تهم كانت على غير أساس ، ولكن مسلكى معك كان وقتئذ مما لا يجوز الصفح عنه . لقد كنت شخصا أنانيا طول حياتى . ولقد أفسدنى والداى مع الأسف الشديد لأنى أنا ابنهما الوحيد . نعم إنهما كانا والدين صالحين ، ولكنهما شجعانى على أن أكون إنسانا مزهوا ، وأن أحتقر العالم كله حين أفكر فيه . هذا ما كنته وهذا ما كان

يحتمل أن أكونه حتى الآن لولاك يا إلزبث يا أجمل الناس وأعزهم عندى ! لقد ألقيت علىّ درسا قاسيا فى أوله بلا شك ، ولكنى أفدت منه أعظم فائدة . فقد أظهرت لى أن كل ما أدعيه لنفسى لم يكن يكفى لأن يسر المرأة الجديرة بأن يُسعى لسرورها »

« إنى لأكاد أخشى أن أسالك عما اعتقدته فىّ حين التقينا فى بمبرلى . هل عبت علىّ مجيئى ؟ »

« لعمرى لم أعبه ، إنى لم أشعر بشىء غير الدهشة » .

« وأقر أنى لم أكن أتوقع أن تستقبلنى ذلك الاستقبال الحسن »

وأجابها دارسى بقوله : « لقد كان قصدى أن أظهر لك ، بكل ما أستطيع أن أقدمه لك من رعاية ، أنى لم أكن أحقد عليك قط ، وكنت أرجو أن أنال صفحك ، وأن أقلل من سوء ظنك بى ، وذلك بأن أظهر لك أنى أحاول إصلاح عيوبى » .

وبعد أن سارا عدة أميال على مهل عرفا من النظر إلى ساعتيهما أن الوقت قد حان للعودة إلى المنزل .

وماذا عسى أن يكون قد حدث لمستر بنجلى ولچين ؟ ونقلتهما هذه الفكرة إلى البحث فى شئونهما . وأظهر دارسى عظيم سروره من العهد الذى تعاهدا عليه .

وقالت إلزبث : « لابد لى أن أسألك هل عجبت من هذا ؟ » .

« لا ، لم أعجب منه قط . إنى حينما رحلت كنت أشعر بأن ذلك لابد واقع » .

« أى أنك قد أذنت به » . ومع أنه قد صاح مندهشاً من هذه الفكرة ، فقد وجدت هى أنها تكاد تكون الحقيقة كاملة .

« لقد اعترفت له قبل سفرى بأنى نصحته نصيحة خاطئة ، وأنى كنت على غير حق حين ظننت أن أختك لا تعنى به » .

« وهل كان قولك هذا مستمداً من مشاهداتك نفسها أو مما قلته لك فى الربيع الماضى دون غيره ؟ »

« من مشاهداتى . لقد راقبت أختك مراقبة دقيقة فى أثناء الزيارتين اللتين جئت فيهما أخيراً إلى هذا المكان ، وتأكدت فيهما من عواطفها نحوه » .

وكانت إلزبث تتوق لأن تقول إن مستر بنجلى من ألطف الأصدقاء ؛ وإنه سهل الانقياد ، ولكنها أمسكت لسانها عن هذا القول . لقد ذكرت أنه لم يتعلم بعد أن يقبل ضحك الناس عليه ، وأن الوقت لم يحن لأن يبدأ يتعلم هذا .

وظلا يتحدثان حتى وصلا إلى البيت وافترقا فى الردهة .

الفصل الخامس والخمسون

ولم تكد إلزبث تدخل الحجرة حتى بادرتها چين بقولها : « إلى أى مكان كنت تسيرين ياعزيزتى لزى ؟ » ، كما سألها السؤال عينه سائر الجماعة حين جلسوا إلى المائدة . ولم يكن فى وسعها إلا أن تقول إنهما ظلا يتجولان حتى ضلا الطريق . وامتقع لونها وهى تتحدث ، ولكن أحداً لم تجل بخاطره أية فكرة عن حقيقة الأمر .

ومرت السهرة فى هدوء ، ذلك أنه لم يكن من طبيعة دارسى أن يعبر عن سروره بالمرح العظيم ، وأن إلزبث كانت مشغولة بالتفكير فيما تحس به أسرتها حين تعرف كل شىء .

وفى المساء كشفت لچين عما يكنه قلبها .

« إنك تهزلين يا لزى . أخطبت لمستر دراسى ! لا ، لا ، إنك لن تستطيعى أن تخدعينى ! إنى أعرف أن هذا مستحيل » .

« ولكنى فى الحقيقة جادة ولا أقول إلا حقاً » .

« لا يا لزى ، إنى أعرف مبلغ كرهك إياه » .

« ذلك ما يجب أن ينسى كله ، ولعلى لم أكن أحبه دائماً بقدر ما أحبه الآن » .

« ولكن هل أنت واثقة — عفواً إذا سألتك هذا السؤال —

هل أنت واثقة كل الثقة من أنك تستطيعين أن تسعدى بزواجه ؟ »

« لا يمكن أن يكون هذا موضعاً للشك . ولكن هل أنت مسرورة يا چين ؟ » .

« مسرورة كل السرور وأعظمه . لاشىء يمكن أن يسر بنجلى أو يسرنى أكثر من هذا . أى لزى ! هل أنت واثقة من أنك تشعرين بما يجب عليك عمله ؟ » .

« إننى لا أخشى أن تظنى أنى أشعر بأكثر مما يجب علىّ أن أشعر به حين أحدثك عن كل شىء » .

« أى شىء تقصدين ؟ » .

« نعم ، يجب علىّ أن أقر بأنى أحبه أكثر مما أحب بنجلى ، وأخشى أن يغضبك هذا القول » .

« يا أختى العزيزة ، دعك من المزاح وكونى جادة . هل تخبرينى من أى وقت مضى أحببته ؟ » .

« اعتقد أنى يجب أن أرجع بداية حبى أياه إلى الوقت الذى رأيت فيه أول مرة حدائقه الجميلة فى پمبرلى » .

وطلبت إليها أختها مرة أخرى أن تكون جادة ، وكان لهذا الطلب الأثر المرغوب ، وسرعان ما أقنعت چين بصدقها .

وحدثتها إليزبث عن أسباب كتمانها الأمر من قبل ، وعن عواطفها التى لم تكن مستقرة ، وعن عدم رغبتها فى ذكر اسم بنجلى ،

وهو ما لم يكن فى وسعها أن تتجنبه إذا تحدثت عن لقاء دربى شير .
وأمضت الأختان نصف الليلة تتحدثان .

وقالت مسز بنت وهى واقفة عند النافذة فى صباح اليوم الثانى :
« رباه ! ليت مستر دارسى هذا الرجل البغيض لا يأتى إلى هنا مرة أخرى مع عزيزى بنجلى ! ماذا يمكن أن يكون قصده من مضايقتنا إلى هذا الحد ؟ ينبغى لك بالزى أن تخرجى معه مرة أخرى حتى لا يعترض طريق بنجلى » .

ولم يسع إلزبث ألا أن تضحك لهذا الاقتراح الذى يوافقها كل الموافقة ، ولكنها مع ذلك قد ساءها أن تتحدث أمها عنه بهذه اللهجة .

ولم تكد الجماعة تدخل الدار حتى نظر بنجلى إلى إلزبث نظرة ذات مغزى ، وهز يديها بحماسة لم تترك لديها شكا فى أنه قد عرف الأمر . ولم يلبث أن قال بصوت عال : « أليست لديك يا مسز بنت طرق ريفية حول هذا المكان يمكن أن تضل فيها لزى مرة أخرى فى هذا اليوم ؟ »

وأجابته مسز بنت بقولها : « إنى أشير على مستر دارسى ، ولزى ، وكتى أن يسيرو جميعاً إلى جبل أوكهام فى هذا الصباح ، فهى نزهة طويلة جميلة ، ولم ير مستر دارسى هذا المنظر قط من قبل » .

وقال بنجلى : « إنى واثق من أن الطريق أشق مما تستطيعه كتى » .

ووافقت كتى على أنها تفضل البقاء فى المنزل . ولما صعدت إلزبث إلى الطابق الأعلى لتستعد للخروج ذهبت أمها فى أثرها وقالت لها :

« إنى يؤسفنى يالزى أن تصحبى وحدك هـذا الرجل الفظ ، ولـكنك تعلمين أنك إنما تفعلين هذا كله من أجل چين ولاحاجة لك بأن تكلميه إلا بين الفينة والفينة ، ولهذا لا تضايق نفسك » .

واتفقا فى أثناء سيرهما أن يطلبا فى المساء إلى مستر بنت أن يوافق على الخطبة . وقالت إلزبث إنها ستطلب هى موافقة أمها .

ولما انفرد مستر بنت بنفسه فى مكتبته فى مساء ذلك اليوم ذهب إليه مستر دارسى من فوره . وبلغ انفعال إلزبث فى ذلك الوقت غايته . إنها لم تكن تخشى أن يعارض أبوها فى هذا الزواج ، ولـكن الذى أقلق بالها أن تكون هى ، أحبُّ بناته إليه ، سببا فى شقائه باختيارها دارسى زوجا لها . ولـكنها سرى عنها هذا القلق ابتسامة من مستر دارسى وهو عائد من عنده حين قال لها همسا . « أذهبى إلى أبيك » . فذهبت إليه على الفور .

وكان أبوها يسير فى الحجرة جيئة وذهابا وآثار الحيرة والقلق بادية عليه ، فلما أقبلت عليه قال لها : « ماذا تفعلين يالزى ؟ هل جننت حتى قبلت هذا الرجل ؟ ألم تكونى كارهة له على الدوام ؟ » .

وما أشد ما كانت تتمنى وقتئذ أن لو كانت أراؤها السابقة أكثر انطباقا على العقل مما كانت ، وأن ألفاظها كانت أكثر اعتدالا .

وإذن لوفر ذلك عليها إيضاحاً ما كان أثقله . وأكدت له فى شىء من الارتباك قوة عواطفها نحو مستر دارسى .

« ومعنى هذا أنك مصممة على الزواج به . إنه موسر بلا شك ، وفى وسعك أن يكون لك ملابس وعربات أجمل من ملابس چين وعرباتها ، ولكن هل توفر لك السعادة هذه الملابس والعربات ، إننا جميعا نعرف أنه رجل متكبر غير ظريف » .

فأجابته وعيناها مغرورقتان بالدموع : « إنى أحبه ، إنى أحبه حباً أكيداً . والحق أنه ليس فيه كبرياء غير جدير به . إنك لا تعرفه على حقيقته » .

وقال لها أبوها : « يالزى ، لقد وافقتُ ، ولكنى أنصحك أن تفكرى فى الأمر خيراً مما تفكرين الآن . إنى أعرف طبعك يالزى ، إنى أعرف أنك لا تسعدين إلا إذا احترمت زوجك بحق . ولست أريد يا ابنتى أن أشق بأن أراك أنت غير قادرة على أن تحسنى الظن بشريكك فى الحياة » .

وأخيراً استطاعت أن تتغلب على أفكار أبيها وتحمله على الرضا بهذا القران ، وذلك بتأكيدها له مراراً أن دارسى هو الرجل الذى اصطفته لنفسها بحق ، وبما شرحته له من تبدل عواطفها شيئاً فشيئاً ، وبما تبينته بالدليل من ثباته على حبه ، وبما قصته عليه فى حماسة من صفاته الطيبة . وأرادت أن تستكمل الصورة

الطيبة التى انطبعت فى عقله منه فقصت عليه ما فعله مستر دارسى من أجل ليديا .

فلما فرغت من كلامها قال لها : « حسن إذن يا عزيزتى ، إذا كان ما تقولينه حقا ، فهو جدير بك . ولم يكن فى مقدورى بالرى أن أفارقك لشخص أقل منه قدراً » .

ثم تذكرت بعدئذ ماحدث لها من ارتباك قبل بضعة أيام حين قرأ لها خطاب مستر كلنز ؛ وبعد أن ضحك عليها بعض الوقت سمح لها بالانصراف وقال لها وهى تغادر الحجرة : « إذا جاء شاب يطلب ميرى أو كتى فأدخليه ، لأن لدى من الوقت مايتسع للقائه » .

وارتفع عن كاهل إليزبث وقتئذ عبء ثقيل ، وبعد أن قلّبت الأمر فى عقلها وهى فى حجرتها قرابة نصف ساعة ، كان فى وسعها أن تنضم إلى سائر الجماعة ، وهى هادئة النفس هدوءا لابأس به .

ولما ذهبت أمها إلى حجرة ملابسها أثناء الليل تبعتها وأطلعتها على النبأ الخطير . وكان تأثيره فيها عجيباً أعظم العجب . ذلك أن مسز بنت حين سمعته جلست صامتة لاتقوى على النطق بكلمة . ومضت دقائق كثيرة ، وكثيرة جداً ، قبل أن تدرك معنى ماسمعته . ثم أخذت تستعيد شعورها ، وتتحرك فى مقعدها ، وتقوم واقفة ، ثم تعود فتجلس ، وتعجب وتطلب الرحمة لنفسها .

« يالطيفا بعباده ! ارحمنى ياإلهى ! فكرى ! مستر دارسى ! منذا الذى كان فى وسعه أن يظن هذا ! أى حبيبتى لزى ما أكثر ما

ستنالين من الثروة والعظمة ! وما أكثر ماسيكون لك من الجواهر والعربات ! إن ماستناله جين لايعد شيئاً إذا قيس به ـ لايعد شيئاً مطلقاً . ماأرق هذا الرجل ! وما أجمله ! ما أطول قامته . أى عزيزتى لزى ! سيكون لك بيت فى لندن ! ثلاث بنات يتزوجن ! ودخلك عشرة آلاف فى العام ! أى إلهى ، ماذا عسى أن يصيبنى ؟ إنى سيطير لبى »

وكانت لزى تخشى من سلوك أمها فى حضرة مستر دارسى ، ولكن مسز بنت كانت لحسن الحظ ترهب زوج بنتها المقبل رهبة لم تجرؤ معها على أن تتحدث إليه طوال اليوم الثانى ، اللهم إلا أن يكون الحديث لإظهار شواهد من الرعاية والاحترام .

وسر إلزبث أن ترى أباها يعنى بالتعرف إليه ، وسرعان ما أكد لها مستر بنت أن الرجل يعظم قدراً لديه فى كل ساعة .

الفصل السادس والخمسون

ما كان أسعد هذا اليوم الذى أشبعت فيه عواطف الأمومة فى مسز بنت ، يوم أن تزوجت ابنتاها اللتان كانتا أعظم بناتها قدرا . وفى وسع القارئ أن يحزر مبلغ فخزها وبهجتها وهى تزور بعدئذ مسز بنجلى وتتحدث إلى مسز دارسى . وليتنى أستطيع أن أقول إكراماً لأمرتها إن تحقق رغبتها قد جعلها أمرأه عاقلة فى المدة الباقية لها من حياتها ، وإن كان من أسباب التسلية لزوجها أنها كانت لحسن الحظ تصاب من حين إلى حين باضطراب فى أعصابها ، وأنها كانت على الدوام سخيفة فى تفكيرها .

وشعر مستر بنت بحرمانه من ابنته الثانية شعوراً قويا إلى أقصى حد . وكان حبه إياها يخرجه من البيت أكثر مما يخرجه أى سبب سواه ، فقد كان يسره أن يرحل إلى بمبرلى وبخاصة حين لا يكاد يكون من فيه يتوقعون قدومه .

ولم يبق مستر بنجلى وچين فى نذرفيلد أكثر من اثنى عشر شهرا . ذلك أن قرب چين من أمها لم يكن مما يلائمهما ، رغم طبعه الهادئ وقلبها الرقيق الحنون . ثم أشترى بنجلى ضيعة فى دربى شير ، فكان من أسباب سعادة چين والزبث فضلا عن الأسباب الأخرى ، أنهما لم تكونا بعيدتين إحداهما عن الأخرى أكثر من ثلاثين ميلا .

وكانت كتى تقضى معظم وقتها مع أختيها ، وكان عملها هذا من أفيد الأمور لها . فقد تحسنت أحوالها تحسنا كبيراً بوجودها فى مجتمع أرقى من المجتمعات التى تغشاها عادة . ولم تكن كتى ذات طبع جامح كأختها ليديا ، ولما بعدت عن تأثير ليديا والاقتداء بها ، أصبحت أقل تذمرا وأقل جهلا مما كانت قبل . ولم يكن أبوها يأذن لها بالذهاب إلى مسز وكهام ، وإن كانت هذه كثيرا ما دعتها إلى الذهاب إليها والإقامة معها ، ووعدتها بحفلات الرقص وبالشبان .

ولم يبق فى المنزل من البنات إلا ميرى . وكان عليها بطبيعة الحال أن تبتعد عن متع الحياة لأن مسز بنت لم تكن تستطيع البقاء وحدها . واضطرت ميرى نفسها إلى الاختلاط بالعالم أكثر من ذى قبل . ولما كانت أخواتها الأجمل منها لم يبقين معها ليفاضل الناس بينها وبينهن ، فإنها لم تكن تستنكف من هذا الاختلاط .

أما ليديا ووكهام فلم يطرأ على أخلاقهما شىء من التبدل . وقد صبر فى هدوء على علمه بأن إلزبث لابد أن تلم الآن إلماما تاما بماضيه . ولم ييأس هو وليديا من أنه لايزال فى الإمكان إقناع دارسى بأن يهيىء له أسباب الثراء . وكثيراً ما كانت إلزبث ترسل إليه هو وزوجته بعض مايصلح شأنهما من مالها الخاص ، وساعد دارسى وكهام فى الحصول على منصب خير من منصبه الأول فى الجيش إكراما لإلزبث . ولم يكن يسمح لوكهام أن يزور بمبرلى ، ولكن ليديا كانت تستقبل هناك من حين إلى حين ، غير أنهما كانا يطيلان

المكث عند آل بنجلى حتى تضايق من هذا بنجلى نفسه رغم رقة طبعه وتضايقت الآنسة بنجلى من زواج دارسى ، ولكنها اضطرت إلى أن تكون مؤدبة مع إلزبث لرغبتها فى زيارة بمبرلى ومشاهدة أخيها.

واتخذت جورجيانا الآن مسكنها فى بمبرلى ، وكان ما نشأ بينها وبين إلزبث من الحب هو بالضبط ما كان يأمل فيه دارسى . وكانت جورجينا ترى أن إلزبث أحسن خلق الله طرا . على أنها كانت فى مبدإ الأمر تستمع بدهشة ، تقرب أحيانا من الرعب ، إلى الطريقة الفكهة المرحة التى كانت تتحدث بها إلى أخيها . ذلك أن جورجيانا كانت أخته الصغرى ولهذا فإنها كانت تشعر نحوه باحترام يكاد يطغى على ما فى قلبها من حب له .

وغضبت السيدة كترين أشد الغضب من زواج ابن أختها ، وعبرت عن غضبها هذا فى خطاب ملأته بضروب من الإهانة والتحقير الموجهة إلى إلزبث ، كان من أثرها أن انقطعت كل علاقة المودة بين الاثنتين . وانتقل آل لوكاس بعد زمن قليل جداً إلى «دار لوكاس» واعتزموا الإقامة فيها حتى تسكن العاصفة . وقد سكنت فعلا فى آخر الأمر حين أقنعت إلزبث زوجها بالسعى إلى مصالحتها .

أما آل جاردنر فقد كان دارسى وزوجته معهم فى صفاء ليس بعده صفاء . فقد كانا يحبانهم حقا ، وكانا يشعران على الدوام بالشكر الخالص للقوم الذين جاءوا بإلزبث إلى دربى شير فكانوا بذلك سبباً فى الجمع بينها وبين زوجها .

5 R
1

352
252
352
100

12
12

832
12
12
12
12

100
225
325

225
14 18
18

15
15
75
15
225

DATE DUE

JAFET LIB.
-8 NOV 2013
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
-2 JAN 2015
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
30 OCT 2015
Circulation Dept. 4

828:A933prA:c.1
بدران، محمد
الكبرياء والهوى
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01031929

828
A933prA